باب الباء الموحدة

البابوس: الصغير من أولاد النّاس وغيرهم، قال ابن أحمر:

حنت قلوصي إلى بابوسها طرباً وما حنينك بل ما أنت والذكر؟

البازي: أفصح لغاته بازِي مخففة الياء والثانية باز والثالثة بازيّ بتشديد الياء، حكاهما ابن سيده، وهو مذكر لا اختلاف فيه ويقال في التثنية بازيان، وفي الجمع بزاة كقاضيان وقضاة، ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد: صقور ولفظه مشتق من البزوان، وهو الوثب وكنيته أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق، وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها خلقاً.

قال القزويني في «**عجائب المخلوقات**»: قالوا: إنّه لا يكون إلاّ أنثى. وذكرها من نوع آخر كالحِدَإِ والشواهين، ولهذا اختلفت أشكالها. روينا عن عبد الله بن المبارك أنّه كان يَتَّجُر ويقول: لولا خمسة ما اتَّجَرْتُ: السفيانان، وفضيل، وابن السماك، وابن عُلَيَّة أي لِيَصِلَهُمْ، فقدم سنة، فقيل له: قد ولّي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بشيء، فأتى إليه ابن علية. فلم يرفع رأسه إليه، ثم كتب إليه ابن المبارك يقول:

يا جاعل العلم له بازياً يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها لتترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت أكرهت فذا باطل زل حمار العلم في الطين

فلمّا وقف إسماعيل بن علية على الأبيات ذهب إلى الرّشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه.

وعبد الله بن المبارك إمام جليل، زاهد، عابد، جمع بين العلم والعمل، ذكر ابن خلكان في ترجمته قال: عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عزّ وجل، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال: الحمد لله، قال ابن المبارك: يرحمك الله، فعجب الحاضرون من حسن أدبه، وقال أيضاً: قدم هارون الرّشيد الرقة، فانحفل[1] النّاس خلف عبد الله بن المبارك وتقطّعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد الرّشيد من قصر الخشب، فلمّا رأت النّاس قالت: من هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان يقال له: عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الّذي لا يجمع النّاس إلاّ بشرط وأعوان.

وذكر غيره أنّ عبد الله بن المبارك استعار قلماً من الشام، فعرض له سفر فسافر إلى أنطاكية، وكان قد نسي القلم معه، فتذكّره هناك، فرجع من أنطاكية إلى الشام ماشياً حتى ردّ القلم إلى صاحبه، وعاد. وروي أن عند ذكره تنزل الرّحمة. توفّي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليه.

ومن أخبار الرّشيد أنّه خرج يوماً إلى الصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء، ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرّشيد العلماء وسألهم عن ذلك، فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جد ابن عباس ﷺ أنّ الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه دواب بيض تفرّخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش، فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه، وهو خمسة أصناف البازي والزرق والباشق والبيدق والصقر. والبازي أحرها مزاجاً لأنّه قليل الصبر على العطش، ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفّة والظل الظليل، وهو خفيف الجناح، سريع الطيران وإناثه أجرأ على عظام الطير من ذكوره، وهذا الصنف تصيبه الأمراض وانحطاط اللحم والهزال وأحسن أنواعه ما قلّ ريشه واحمرّت عيناه مع حدّة فيهما كما قال الناشيء:

لو استضاء المرء في إدلاجه بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الأحمر العينين والأصفر دونهما، ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، شديد الانخراط إلى ذنبه، وأن تكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش وذراعاه غليظتين قصيرتين. وفرخ البازي يسمّى غطريفاً، ويضرب بالبازي المثل في نهاية الشرف كما قال الشاعر:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز

قال الشيخ الزاهد أبو العباس القسطلاني: سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم

(١) فانحفل: فاحتشد.

الأصبهاني أمام مقام إبراهيم بمكّة يقول: سمعت الشيخ أحمد خادم الشيخ حماد يقول: دخل الشيخ عبد القادر على الشيخ حماد الدبّاس يزوره فنظر إليه الشيخ، وكان قد رأى أنّه اصطاد بازياً، فأثّرت نظرة الشيخ فيه، فخرج من عنده وتجرّد عن أسبابه، وكان من أكابر أصحابه، انتهى، ولهذا كان الشيخ عبد القادر يقول:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها طرباً وفي العلياء باز أشهب

قال الشيخ أبو إسحٰق الشيرازي في «**طبقاته**»: كان ابن شريح يقال له الباز الأشهب، وقال الوعيظي في أوّل قصيدته:

ليس المقام بدار الذل من شيمي ولا معاشرة الأنذال من همّي
ولا مجاورة الأوباش تجمل بي كذلك الباز لا يأوي مع الرخم

وأمّا الباشق بفتح الشين وكسرها فأعجمي معرب وكنيته أبو الآخذ، وهو أيضاً حار المزاج يغلب عليه القلق والزعارة، يأنس وقتاً ويستوحش وقتاً، وهو قوي النّفس، فإذا أنس منه الصغير بلغ صاحبه من صيده المراد، وهو خفيف المحمل، ظريف الشمائل، يليق بالملوك أن تخدمه لأنّه يصيد أفخر ما يصيده البازي، وهو الدراج والحمام والورشان، وهو كثير الشبق، وإذا قوي عليه صيده لا يتركه إلاّ أن يتلف أحدهما. وأحد صفاته أن يكون صغيراً في المنظر ثقيلاً في الميزان، طويل الساقين، قصير الفخذين. وأمّا البيدق فلا يصيد إلاّ العصافير، وهو قليل الغناء، قريب في الطبع من العقصى. قال أبو الفتح كُشَاجِم في المعنى:

حسبي من البزاة والبيادق ببيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق ليس له في صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق أن الفرازين من البيادق

وأمّا العقصى فهو أصغر الجوارح نفساً، وأضعفها حيلة، وأشدّها ذعراً، وأيبسها مزاجاً، يصيد العصفور في بعض الأحايين، وربّما هرب منه، وهو يشبه الباشق في الشكل إلاّ أنّه أصغر منه.

الحكم: يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطيور، رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، وبهذا قال أكثر أهل العلم. وقال مالك والليث والأوزاعي ويحيى بن سعيد: لا يحرم من الطير شيء، واحتجوا بعموم الآيات المبيحة، ولم يثبت عند مالك حديث النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، فكان على الإباحة. قال الأبهري: ليس في ذي المخلب عن النبيّ ﷺ نهي صحيح، وقال غيره: لم يثبت حديث النهي عن أكل كل ذي مخلب من الطير لأنّ ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس، وسقط بينهما سعيد بن جبير، فصار هذا علّة تحطّه عن رتبة الصحيح. وقال إمامنا

الشافعي ﷺ : يكره للمحرم استصحاب البازي، وكل صائد من كلب وغيره، لأنّه ينفر الصيد، وربّما انفلت فقتل صيداً، فإن حمله فأرسله على صيد، فلم يقتله ولم يؤذه فلا جزاء عليه، لكن يأثم كما لو رماه بسهم فأخطأه فإنّه يأثم بالرّمي لقصده الحرام، ولا ضمان لعدم الإتلاف، قال: وما فيه مضرّة ومنفعة، لا يستحب قتله لما فيه من المنفعة، ولا يكره لعدوانه على النّاس كالبازي والفهد والصقر والعقاب ونحوها. ويصح بيع البازي وإجارته بلا خلاف، لأنّه طاهر منتفع به. روى الترمذي عن عدي بن حاتم ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي، فقال: «**ما أمسك عليك فكل**».

الأمثال: قالت العرب:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإنّ ابن عمّ المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

ومن ملح أمثال أبي أيّوب سليمان بن أبي مجالد قال خالد بن يزيد الأرقط: بينما أبو أيّوب في أمره ونهيه إذ طلبه المنصور، فاصفر وارتعد، فلمّا خرج من عنده تراجع لونه، وكان ذلك دأبه كلّما طلبه، فقيل له: إنّا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه، فضرب لذلك مثلاً، فقال: زعموا أنّ بازياً وديكاً تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقلّ وفاء منك، فقال: وكيف؟ قال: لأنّك تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفّهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلاّ طرت ههنا وههنا وصحت، وإن علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت وتركتها وصرت إلى غيرها، وأنا أؤخذ من الجبال وقد كبر سنّي فأطعم الشيء القليل وأونس يوماً أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي فآخذه وأجيء به إلى صاحبي، فقال له الديك: ذهبت عنك الحجّة، أما لو رأيت بازيين في سفود ما عدت إليهم أبداً وأنا كل يوم ووقت أرى السفافيد مملوءة ديوكاً أقيم معهم، فأنا أوفى منك لو كنت مثلك. وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالاً منّي عند طلبه إيّاكم.

ثم إنّه قتله في سنة أربع وخمسين ومائة بعد أن عذّبه وأخذ أمواله، وكان قد تمكّن من المنصور غاية التمكّن لإحسان فعله مع المنصور قبل خلافته، ثم أبغضه وهمّ أن يوقع به، وتطاول ذلك، وكان كلّما دخل عليه ظنّ أنّه سيوقع به، ثم يخرج سالماً. قيل: إنّه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحراً فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور، فصار مثلاً في العامة يقولون: دهن أبي أيّوب. قال في «**الجواهر الزواهر**»، وكان المنصور يودّه كثيراً ويبتسم إليه، وأنشد على ذلك لناصح الدّين سعيد بن الدهان سيبويه عصره في النحو قوله:

لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصة والجد تعلو به بين الورى القيم
ولا يَغُرَّنْكَ من مَلْكٍ تبسُّمُه ما سَحَّتِ السحب إلاّ حين تبتسم

ومن محاسن شعره قوله:

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكأس يبدو في أوائله صفو وآخره في قعره كدر

وله أيضاً ويقال: إنّه لابن طباطبا الطالبي:

تأمل نحولي والهلال إذا بدا لليلته في أفقه أينا أضنى
على أنّه يزداد في كل ليلة نموّاً وجسمي بالضنى دائماً يفنى

وله أيضاً:

والله لولا أن يقال تغيراً وصباً وإن كان التصابي أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثمار كافور الترائب عنبرا

وكانت وفاته سنة تسع وستّين وخمسمائة. قال الغزنوي: الترائب جمع تريبة، وهو موضع القلادة من الصدر، وزاد الكواشي؛ وقيل: الصدر؛ وقيل: النحر وقيل: أطراف الرجل.

الخواص: مرارته من اكتحل بها أمن من نزول الماء في عينيه، وإن شربت امرأة من زرق البازي مدافاً بماء أعان على الحبل وإن كانت عاقراً.

وأمّا الباشق فدماغه ينفع من الخفقان العارض من السوداء إذا سقي منه وزن درهم بماء ورد، ومرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً.

التعبير: البازي في المنام يدل على سلطان لمن هو من أهل الإمارة، فإن ذهب من يديه وبقي منه ساقه ذهب ملكه وبقي ذكره، وإن بقي في يده شيء من الرّيش بقي في يده شيء من المال. وذبح البازي ظفر بلص، وذبح البزاة يدلّ على موت الملوك الّذين يأخذون الأموال جهاراً، ولحوم البزاة أموال السلاطين. والبزاة للرجل السوقي رئاسة وشرف. والباشق في المنام لص، وقيل ولد ذكر.

البازل: البعير الّذي فطر نابه أي انشق ذكراً كان أو أنثى، وذلك في السنة الثامنة، والجمع بزل وبزل وبوازل. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ استقرض بكراً فرد بازلاً وقال: «**خيركم أحسنكم قضاء**». وروى الخطابي عن ابن خزيمة قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سئل ابن عيينة عن معنى قول رسول الله ﷺ: «**من استجمر فليوتر**»، فسكت ابن عيينة فقيل: أترضى بما قاله مالك؟ قال: وما قال مالك؟ قال: قال: الاستجمار الاستطابة بالأحجار، قال: فقال ابن عيينة: إنّما مثلي ومثل مالك كما قال الأوّل:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس[1]

(١) القناعيس: جمع قِنْعَاس: الضخم الشديد من الإبل.

الباقعة: الداهية، يقال رجل باقعة إذا كان ذا دهاء. ونقل الهروي عن أبي عمرو أنّه طائر حذر إذا شرب الماء يطير يمنة ويسرة، وفي حديث القبائل أنّ عليّاً قال لأبي بكر ﷺ: لقد عثرت من الأعراب على باقعة، وفي حديث آخر ففاتحته فإذا هو باقعة.

بالام: روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ قال: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنّة**»، قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرّحمٰن فيك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنّة يوم القيامة، قال: «**بلى**» قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال رسول الله ﷺ، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: «**بلى**»، قال: بالام ونون، قال: «**وما هما؟**» قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً، هكذا عند البخاري سبعون بتقديم السين.

وفي **صحيح مسلم** في **كتاب الظهار** من حديث ثوبان قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصدع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: لم لا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنّا ندعوه باسمه الّذي سمّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ اسمي محمد الّذي سمّاني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيء إن حدّثتك؟**» فقال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه وقال: «**سل**»، فقال اليهودي: أين يكون النّاس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في ظلمة دون الجسر**»، فقال: من أوّل النّاس إجازة يوم القيامة، قال ﷺ: «فقراء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنّة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنّة الّذي كان يأكل من أطرافها**»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمّى سلسبيلاً**»، قال: صدقت، وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلاّ نبي أو رجل أو رجلان، قال: «**أينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأُذني، قال: «سل»، قال: أسألك عن الولد؟ قال ﷺ: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة كان ذكراً بإذن الله تعالى، وإذا علا مني المرأة مني الرجل كان أنثى بإذن الله تعالى**»، قال: صدقت إنّك لنبي، ثم انصرف، فلمّا ذهب قال رسول الله ﷺ: «**قد سألني هذا عن الّذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى آتاني الله عزّ وجل به**». وفي «**صحيح البخاري**» من حديث أنس قريب من هذا، وأنّ اليهودي هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، هكذا جاء الحديث عنه مفسراً.

أمّا النون فهو الحوت، وبه سمّي يونس عليه السلام ذا النون. وأمّا بالام فقد تكلّفوا له شرحاً غير مرضٍ، ولعل اللفظة عبرانية، كذا قال في «**النهاية**». وقال الخطابي: لعلّ اليهودي

أراد التعمية فقطع الهجاء وقدّم أحد الحرفين على الآخر وهي لام ألف وياء يريد لأي بوزن لعي وهو الثور الوحشي فصحّف الراوي الياء بالباء، قال: وهذا **أقرب ما ينفع** لي فيه، اهـ. والصحيح أنّها لفظة عبرانية. وأمّا زيادة كبد الحوت فهي القطعة المنفردة المتعلّقة بها، وهي أطيبها، وهؤلاء السبعون ألفاً يحتمل أنّهم الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب، ويحتمل أنّه عبّر بالسبعين ألفاً عن العدد الكثير من غير إرادة حصر. ورواه النسائي في **عشرة النساء** أيضاً.

البال: سمكة تكون في البحر الأعظم يبلغ طولها خمسين ذراعاً يقال لها: العنبر، وليست بعربية. قال الجواليقي: كأنّها عرّبت. وقال في «**الصحاح**»: البال الحوت العظيم من حيتان البحر، ليس بعربي. وقال القزويني: البال سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر، تظهر في بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم، وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف، فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفر عنهم، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها فلا خلاص للبال منها، فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم، ولها أناس من الزنج، يرصدونها، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل وشقّوا بطنها واستخرجوا العنبر منها. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة ذكر هذا الحيوان وما يتعلق بالعنبر من الأحكام.

البَبرُ: بباءين موحّدتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، ضرب من السباع يعادي الأسد من العدو لا من العَدوان، ويقال له: البريد، ويقال له: الفُرانِق بضم الفاء وكسر النون، وهو هندي معرب شبيه بابن آوى، ويقال: إنّه متولّد من الزبرقان واللبوة، ومن طبعه أنّ الأنثى منه تلقح من الريح، ولهذا كان عدوه كالريح، ولا يقدر أحد على صيده، وإنّما تسرق جراؤه فتجعل في مثل القوارير من زجاج، ويركض بها على الخيول السابقة، فإذا أدركهم أبوها ألقوا إليه قارورة منها فيشتغل بالنظر إليها، والحيلة في إخراج ولده منها فيفوته بقيتها فيربى حينئذٍ، ويألف الصبيان ويأنس بالإنس، وهو يألف شجرة الكافور كثيراً، فإذا كان عندها لم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئاً لكنّه يفارقها في زمن معلوم، فإذا علم أهل تلك النواحي بذلك أتوا إلى الشجرة وأخذوا منها الكافور.

الحكم: يحرم أكله لأنّه يتقوّى بنابه.

الخواص: من أصابه سرسام أو برسام[1] يطلي رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء ينفعه نفعاً بيّناً، وإذا تحملتها المرأة لا تحمل أبداً، وإذا كانت حاملاً أسقطت، وكعبه يشد على الزند فلا يتعب حامله أبداً ولو سار كل يوم عشرين فرسخاً، وجلده يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه، وذكر في «**ربيع الأبرار**» أنّ الببر على صورة الأسد الكبير وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود، وقال أرسطو: الببر سبع مهيب يكون بأرض الحبشة خاصة لا بغيرها.

الببغاء: بثلاث باءات موحدات أولاهنّ وثالثتهنّ مفتوحتان، والثانية ساكنة وبالغين المعجمة، وهي هذا الطائر الأخضر المسمّى بالدُّرة بدال مهملة مضمومة، قاله في «**العباب**» وضبطها ابن السمعاني في «**الأنساب**» بباءين بفتح الأولى وبإسكان الثانية، وقال: لقّب بها أبو الفرج الشاعر لفصاحته. وقال القضاعي: للثغة كانت في لسانه وهي في قدر الحمام يتّخذها النّاس للانتفاع بصوتها كما يتّخذون الطاوس للانتفاع بصوته ولونه، ومن الببغاء نوع أبيض، وقد أهدي لمعز الدولة بن بويه دُرّة بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية، وجميع أنواعها معدوم سوى الأخضر فهو الموجود الآن وهو حيوان دمث الخلق ثاقب الفهم، له قوّة على حكاية الأصوات وقبول التلقين يتّخذه الملوك والأكابر لينم بما يسمع من الأخبار، ويتناول مأكوله برجله كما يتناول الإنسان الشيء بيده والنّاس يحتالون في تعليمه بطرق عدّة.

قال أرسطاطاليس: إذا أردت تعليم الببغاء فخذ مرآة واجعلها أمامها فترى صورتها أي صورة نفسها، ثم تكلم من ظاهر المرآة وتعاودها، فإنّها تعيد الكلام. وقال ابن الفقيه: رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال، ورأيت فيها صنفاً من الببغاء أحمر وأبيض وأصفر يعيد الكلام بأي لغة كانت. قال أبو إسحاق الصابي في وصفها:

أنعتها صبيحة مليحَهْ ... ناطقة باللغة الفصيحَهْ
عدت من الأطيار واللسانُ ... يوهمني بأنّها إنسانُ
تُنْهِي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأسرار والأستارا
بكماء إلاّ أنّها سميعَهْ ... تعيد ما تسمعه طبيعَهْ
زارتك من بلادها البعيدَهْ ... واستوطنت عندك كالقعيدَهْ

(١) البرسام: ورم يصيب الحجاب الذي بين الكبد والأعضاء، ثم يصل إلى الدماغ.

ضيف قراه الجوز والأرز والضيف في إتيانه يعز
تراه في منقارها الخلوقي كلؤلؤ يلقط بالعقيقِ
تنظر من عينين كالفصين في النور والظلمة بصاصين
تميس في حلّتها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاصُ ليس لها من حبسها خلاصُ
نحبسها ومالها من ذنب وإنّما ذاك لفرط الحب
تلك الّتي قلبي بها مشغوفُ كنيت عنها واسمها معروفُ
يشرك فيها شاعرُ الزمانِ الكاتبُ المعروفُ بالبيانِ
ذلك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسي حادثات الدهر

فأجابه أبو الفرج بقوله:

من منصفي من محكم الكتاب شمس العلوم قمر الآداب
أمسى لأصناف العلوم محرزا وسام أن يلحق لما برزا
وهل يجاري السابق المقصر؟ أو هل يباري المدرِكَ المغرَّر

إلى أن قال في وصفها:

ذات شغا تحبه ياقوتا لا ترتضي غير الأرز قوتا
كأنّما الحبّة في منقارها حبابة تطفو على عقارها

وقال القاضي ابن خلكان في **ترجمة الفضل بن الرّبيع**: إنّ أحمد بن يوسف الكاتب كتب إلى بعض إخوانه، وقد ماتت له ببغاء، وله أخ كثير التخلّف يسمّى عبد الحميد:

أنت تبقى ونحن طراً فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جلّ خطب دهر أتاكا بمقادير أتلفت ببغاكا
عجباً للمنون كيف أتتها وتخطّت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أجمل للمو ت من الببغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال الزمخشري: إنّ الببغاء تقول: ويل لمن كانت الدّنيا همَّه.

الحكم: يحرم أكلها على الأصح في الرافعي، ونقله في «**البحر**» عن الصيمري، وأقرّه وعلّل ذلك بخبث لحمها، وقيل: حلال لأنّها تأكل من الطيّبات وليست من ذوات السموم، ولا من ذوات المخالب، ولا أمر بقتلها ولا نهي عنه. وقطع المتولي بجواز استئجارها للأنس بصوتها، وحكى البغوي في ذلك وجهين: وكذا كل ما يستأنس بصوته كالعندليب وغيره.

الخواص: من أكل لسان الببغاء صار فصيحاً جريئاً في الكلام، ومرارتها تثقل اللسان أكلاً، ودمها يجفف ويسحق وينثر بين الصديقين تظهر بينهما العداوة، وذرقها يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالاً.

التعبير: الببغاء في المنام رجل نحس كذّاب؛ وقيل: رجل فيلسوف، وفرخه ولد فيلسوف؛ وقيل: هي جارية أو غلام يتيم.

البج: من طير الماء وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الجنس أجمع في باب الطاء المهملة.

البجع: الحوصل، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء، وقد أحسن الشاعر حيث قال فيه ملغزاً:

ما طائر في قلبه
يلوح للناس عجب
منقاره في بطنه
والعين منه في الذنب

قال التميمي في «**منافع القرآن**»: من كتب على جلد حوصلة البجع بماء ورد أو بماء مطر قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: 69]، ثم جعل على صدر النائم من رجل أو امرأة فإنّه يخبر بكل ما عمل.

البخزج: بالباء الموحدة والزاي والجيم، ولد البقرة الوحشية.

البخاق: كغراب الذئب الذكر.

البخت: من الإبل معرب، وبعضهم يقول: هو عربي الواحد الذكر بختي والأنثى بختية، وجمعه بخاتي، غير مصروف، لأنّه بزنة جمع الجمع ولك أن تخفف الياء، فتقول: البخاتي وكذا كل ما أشبهها مما واحده مشدد يجوز في جمعه التشديد والتخفيف كالعواري والسواري والعلالي والأواني والأثافي والكراسي والمهاري وشبهها، وممن ذكر هذه القاعدة ابن السكيت في «**إصلاحه**» والجوهري في «**صحاحه**».

قال ابن السكيت: والأثفية بثاء مثلثة مفرد الأثافي وهي الأعمدة الثلاثة تتخذ لوضع القدر عليها حال الطبخ، ومن كلام العرب: رماه الله بثالثة الأثافي، يعني الجبل، لأنّ الانسان إذا لم يجد إلاّ اثنتين جعل الثالثة الجبل، فعبروا بثالثة الأثافي عن الجبل، والبخاتي جمال طوال

الأعناق. روى أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد من حديث جنادة بن أمية قال: كنا مع بسر بن أرطأة في البحر، فأتي بسارق قد سرق بختية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقطع الأيدي في السفر، ولولا ذلك لقطعته**».

وفي «**صحيح مسلم**» من حديث زهير عن جرير بن سهل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال في صفة النّساء اللاتي يأتين في آخر الزمان: «**رؤوسهن كأسنمة البخت لا يجدن ريح الجنة وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**». وفي «**المستدرك**» من حديث عبد الله بن عمر أنّ النبيّ ﷺ قال: «**سيكون في آخر هذه الأمّة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنّهن ملعونات**». وفي «**الكامل**» في ترجمة فضل بن مختار البصري عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ في الجنة طيراً أمثال البخاتي**»، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّها لناعمة يا رسول الله، فقال ﷺ: «**أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر**».

البدنة: جمعها بُدْن بضم الدّال وإسكانها وبالإسكان جاء في القرآن، وممن ذكر الضم الجوهري رحمه الله، وهو ما أشعر من ناقة أو بقرة، سمّيت بذلك لأنّها تبدن أي تسمن. وقال النووي: هي البعير ذكراً كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية عند الفقهاء وعند اللغويين أو أكثرهم تطلق على الإبل والبقر، وقال الأزهري: تكون في الإبل والبقر والغنم، سمّيت بذلك لعظم أبدانها، ويشهد لاختصاصها بالإبل ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنّما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنّما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرب بيضة**».

وفي «**مسند أحمد**» رضي الله عنه: في الساعة الرابعة بطة، وفي الخامسة دجاجة، وفي السادسة بيضة، ووصف الكبش بالقرن لأنّه أكمل وأحسن صورة. وجمع البدنة بدن. قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: 36]، أي من أعلام دين الله ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي نفع في الدّنيا وأجر في الآخرة.

حج صفوان بن سليم وليس معه إلاّ سبعة دنانير فاشترى بها بدنة، فقيل له في ذلك، فقال: إنّي سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: 36]. وأوّل من أهدى البدن إلى البيت الحرام إلياس بن مضر، وهو أوّل من وضع مقام إبراهيم عليه السلام للنّاس بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح عليه السلام، فكان إلياس أوّل من ظفر به فوضعه في زاوية البيت، ولم تزل العرب تعظّم إلياس بن مضر إلى أن مات، ولمّا مات أسفت عليه زوجته خندف أسفاً شديداً، وحرّمت الرجال والطيب، ونذرت أن لا تقيم ببلدة مات فيها ولا

يأويها بيت، فلم تزل سائحة حتى هلكت حزناً، وكانت وفاته يوم الخميس، فنذرت أن تبكيه كلّما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس. قال السهيلي ويذكر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**لا تسبّوا إلياس، فإنّه كان مؤمناً**»، وذكر أنّ إلياس كان يسمع من صلبه تلبية النبيّ ﷺ بالحج.

وروى مسلم عن موسى بن سلمة الهذلي قال: انطلقت أنا وسنان بن سلمة معتمرين، قال: وانطلق سنان ومعه بدنة يسوقها فأزحفت عليه بالطريق فغمّني شأنها إذ هي أبدعت أي كلّت فأتينا إلى ابن عباس نسأله، فقال: على الخبير سقطت، بعث رسول الله ﷺ بستّ عشرة بدنة مع رجل وأمره فيها فقال: يا رسول الله وما أصنع بما أبدع علي منها؟ قال ﷺ: «**انحرها ثم اصبغ نعلها في دمها ثم اجعله في صفحتها ولا تأكل منها أنت ولا أحد من رفقتك**». وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء الكلام على الهدي. وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة، فقال له: «**اركبها**»، قال: يا رسول الله إنّها بدنة، قال: «**اركبها**»، قال: إنّها بدنة، قال: «**اركبها ويلك**» في الثانية أو في الثالثة. وفي رواية: «**ويلك اركبها ويلك اركبها**».

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها ثم قل: الله أكبر اللّهمّ منك وإليك، ثم سمّ وانحرها، وكذلك في الأضحية.

وفي «**الصحيحين**» عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، فقال: ابعثها قائمة مقيّدة، سنّة محمد ﷺ. وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن قرط أنّ النبيّ ﷺ قال: «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر**»، وقرّب إلى رسول الله ﷺ خمس بدنات أو ستّ ينحرهن، فطفقن يزدلفن إليه أيتهنّ يبدأ بها. وفي ركوب البدنة مذاهب للعلماء، فذهب الشافعي إلى أنّه يركبها إذا احتاج ولا يركبها من غير حاجة، وإنّما يركبها بالمعروف من غير إضرار بها، وبهذا قال ابن المبارك وابن المنذر وجماعة. وقال مالك وأحمد: له ركوبها من غير حاجة، وبه قال عروة بن الزبير وإسحاق بن راهويه، وقال أبو حنيفة: لا يركبها إلاّ أن لا يجد منه بدّاً. وحكى القاضي عن بعض العلماء أنّه يجب ركوبها لظاهر الأمر ودليل الجمهور أن النبيّ ﷺ أهدى ولم يركب هديه، ولم يأمر النّاس بركوب الهدايا. وقول النبيّ ﷺ: «**ويلك**»، هذه الكلمة أصلها لمن وقع في هلكة، فقال له ذلك لأنّه كان محتاجاً قد وقع في جهد وتعب؛ وقيل: هذه الكلمة تجري على اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وضعت له أولاً، وهي كقولهم: لا أم له، لا أب له، تربت يداه، قاتله الله عَقْرَى حَلْقَى[1] وما أشبه ذلك.

(١) عَقْرى حَلْقَى: وفي الدعاء حَلْقاً له وعَقْراً أي أصابه الله بوجع في حلقه وعقر في جسده، عن المصباح المنير.

البَذَج: بالذال المعجمة، من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز وجمعه بِذْجَان، قال الشاعر:

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عتوداً أو بذج

قال الجوهري: ومراده بالهمج سوء التدبير في المعاش، وفي الحديث: «**يخرج رجل من النار كأنّه بذج ترعد أوصاله**». وروى ابن المبارك عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يجاء برجل يوم القيامة كأنّه بذج من الذلّ فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له: أعطيتك وخوّلتك وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: رب جمعته ونميته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به، فيقول الله تعالى: أرني ما قدّمت، فإذا هو عبد لم يقدم خيراً فيُمضى به إلى النّار**»، خرجه ابن العربي المالكي في «**سراج المريدين**»، وقال: حديث صحيح من مراسيل الحسن، قال الحافظ المنذري في «**الترغيب والترهيب**»: ورواه الترمذي عن إسماعيل بن مسلم المكي وهو رواه عن الحسن. والبذج بباء موحّدة مفتوحة وذال معجمة ساكنة ثم جيم من أولاد الضأن شبّه به هذا لما يأتي به من الذل والحقارة، انتهى.

وفي «**مسند أبي يعلى الموصلي**» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنّه بذج من الذل فيقول الله تعالى: أنا خير قسيم يا بن آدم، انظر إلى عملك الّذي عملت لي فأنا أجزيك به وانظر إلى عملك الّذي عملت لغيري فإنّ جزاءك على الّذي عملت له**»، ورواه الحافظ أبو نعيم في ترجمة الرّبيع بن صبيح مرفوعاً.

والبذج كلمة فارسية تكلمت بها العرب، وعن بعض الأعراب أنّه وجد متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللّهم أمتني ميتة أبي خارجة، فقيل له: وكيف مات أبو خارجة؟ قال: أكل بذجاً وشرب مشعلاً ونام شامساً فلقي الله تعالى شبعان ريان دفآن. المشعل إناء ينبذ فيه.

الأمثال: قالوا فلان أذل من بذج لأنّه أضعف ما يكون من الحملان.

البراق: الدّابة الّتي ركبها سيد المرسلين ﷺ ليلة الإسراء، وركبها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مشتقّة من البرق الّذي يلمع في الغيم كما روي في حديث المرور على الصراط، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالرّيح العاصف، ومنهم من يمر كالفرس الجواد. وفي الصحيح أنّه دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، يضع خطوه عند أقصى طرفه ويؤخذ من هذا أنّه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة وإلى السموات السبع في سبع خطوات، وبه يرد على من استبعد من المتكلّمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة، وقال: إنّه أعدم ثم أوجد وعلله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في هذه اللحظة، وهذا أوضح دليل في الرد عليه، قال السهيلي: ومما يسأل عنه شماس البراق حين ركبه ﷺ فقال له جبريل عليه السلام: أما تستحي يا براق فما ركبك عبد قبل محمد أكرم على الله منه، قال

ابن بطال: إنّما كان ذلك لبعد عهده بالأنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ونقل النووي عن الزبيدي في «**مختصر العين**»، وعن صاحب «**التحرير**» أنّها دابة كان الأنبياء عليهم السلام يركبونها، ثم قال: وهذا الّذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح، وقال صاحب «**المقتفى**»: والحكمة في كونه على هيئة بغل، ولم يكن على هيئة فرس. التنبية على أنّ الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف، أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع، فإن قيل: ركب ﷺ البغلة في الحرب، فالجواب أنّ ذلك كان لتحقيق نبوّته وشجاعته ﷺ، قال: وكان البراق أبيض، وكانت بغلته شهباء، وهي الّتي أكثرها بياض إشارة إلى تخصيصه بأشرف الألوان، قال: واختلف النّاس: هل ركب جبريل عليه السلام معه ﷺ؟ فقيل: نعم كان رديفه ﷺ، قال: والظاهر عندي أنّه لم يركب معه لأنّه ﷺ هو المخصوص بشرف الإسراء، لكن روي أنّ إبراهيم عليه السلام كان يزور ولده إسماعيل على البراق وأنّه ركبه هو وإسماعيل وهاجر حين أتى بهما البيت الحرام.

وفي أواخر «**المستدرك**» عن عبد الله رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «**أتيت بالبراق فركبت خلف جبريل**»، إلى أن قال تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور، وقد اختلفوا فيه، وفيه في ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**تُبعث الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، ويبعث صالح على ناقته، وأبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها، تُبعث فاطمة أمامي**»، وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني في «**كتاب الحجّة إلى بيان المحجّة**»: إن قيل: لم عرج البراق به ﷺ إلى السماء ولم ينزل عند منصرفه عليه؟ فالجواب أنّه عرج به ليلاً إظهاراً لكرامته، ولم ينزل عليه إظهاراً لقدرة الله تعالى، وقيل: دلّ بالصعود على النزول به عليه كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: 81] يعني والبرد، وكقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: 26] أي والشر، وقال حذيفة: ما زايل ظهر البراق حتى رجع ثم إنّ البراق يوم القيامة يركبه النبيّ ﷺ دون سائر الأنبياء.

يدل لذلك ما رواه الحاكم قريباً وما رواه أبو الرّبيع بن سبع السبتي في «**شفاء الصدور**» عن سويد بن عمرو أنّ النبيّ ﷺ قال: «**حوضي أشرب منه يوم القيامة أنا ومن استسقاني من الأنبياء عليهم السلام. ويبعث الله تعالى لصالح ناقته يحلبها ويشرب هو والّذين آمنوا معه، ثم يركبها حتى يوافي بها الموقف، ولها رغاء**»، فقال له رجل: يا رسول الله وأنت يومئذ على العضباء؟ قال ﷺ: **تلك تُحشر عليها ابنتي فاطمة وأنا أُحشر على البراق، أخص به دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**».

واختلف النّاس في تاريخ الإسراء، فقال ابن الأثير: الصحيح عندي أنّه كان ليلة الإثنين السبع وعشرين من شهر ربيع الأوّل؛ قبل الهجرة بسنة، وبهذا جزم شيخ الإسلام محيي الدّين النووي في «**شرح مسلم**» وجزم في فتاويه في «**كتاب الصلاة**» بأنّه كان في شهر ربيع الآخر، وفي «**سير الروضة**» أنّه كان في رجب، وإنّما كان ليلاً لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً.

قال أهل التاريخ: ولد النبيّ ﷺ عام الفيل، وأقام في بني سعد خمس سنين، ثم توفّيت أمّه بالأبواء وهو ابن ستّ سنين وكفله جدّه عبد المطّلب، ثم توفّي وهو ابن ثمان سنين، فكفله أبو طالب وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم خرج ﷺ في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتزوّجها في تلك السنة، وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها، وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة. وتوفّي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفّيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيّام، ثم خرج ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها، فأقام به شهراً ثم رجع إلى مكّة في جوار المطعم بن عدي، فلمّا أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، فلمّا أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به ﷺ.

وهاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وهي السنة الثالثة عشرة من بعثته ﷺ، وقيل: هاجر في الرابعة عشرة من بعثته ﷺ، ومعه أبو بكر الصدّيق، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط، وهذه السنة عليها مبنى التاريخ الإسلامي وهي سنة أحد، وفيها آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم واتّخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخاً، وفيها أتمت صلاة الحضر وقصرت صلاة السفر، وفيها تزوّج علي فاطمة رضي الله عنها، وفي سنة اثنتين كانت غزوة وردان وهو اسم مكان، وغزوة بواط وهي من ناحية رضوى، وغزوة العشيرة وغزوة بدر الأولى، وكانت في جمادى الآخرة، وغزوة بدر الكبرى وهي الّتي قتل فيها صناديد قريش وأعزّ الله تعالى بها الدّين، وكانت يوم الجمعة ثالث عشر رمضان وغزوة بني سليم، وكانت في ذي الحجّة خرج ﷺ يريد أبا سفيان، فلم يلقه. وفي سنة ثلاث كانت غزوة بني غطفان وغزوة نجران، وغزوة قينقاع وغزوة أُحد وغزوة حمراء الأسد، وفي سنة أربع كانت غزوة بني النضير وغزوة ذات الرقاع، وفي سنة خمس كانت غزوة دومة الجندل وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة، وفي سنة ستّ كانت غزوة بني لحيان وغزوة بني المصطلق، وفي سنة سبع اتّخذ النبيّ ﷺ المنبر وغزا غزوة خيبر، وفيها كانت قصّة فدك وهي مشهورة، وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة، وفي سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وفتح مكّة المشرفة وغزوة حنين وغزوة الطائف وقسمة أموال هوازن، وفي سنة تسع كانت غزوة تبوك.

وفي سنة عشر كانت حجّة الوداع، ونحر فيها بيده الشريفة ﷺ ثلاثاً وستّين بدنة، وأعتق

ثلاثاً وستّين رقبة هي عدد سني عمره، وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته ﷺ، وكان ابتداء الوجع في مستهل شهر ربيع الأوّل، وتوفّي في الثاني عشر منه، وعاش ﷺ ثلاثاً وستّين سنة، وكانت مدّة مقامه في المدينة عشر سنين، وقد تقدّم ذكر ذلك في باب الهمزة في الكلام على الإوز. وكان أولاده ﷺ كلّهم من خديجة ﵂ إلاّ إبراهيم فإنّه من مارية القبطية، وهم: الطيب والطاهر والقاسم وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وإبراهيم سلام الله ورضوانه عليهم أجمعين، فأما الذكور فماتوا كلّهم أطفالاً، ولم يتزوّج ﷺ في حياة خديجة غيرها، فلمّا ماتت تزوّج سودة بنت زمعة ﵂ وعائشة ﵁ ا، ولم يتزوّج ﷺ بكراً غيرها، وماتت ﵂ في أيام معاوية ﵁ سنة ثمان وخمسين عن سبع وستّين سنة، وتزوّج ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵁ سنة ثلاث، وتوفّيت في أيّام عثمان ﵁ ، وتزوّج ﷺ زينب بنت خزيمة، وتوفّيت في حياته ﷺ ولم يمت عنده من نسائه غيرها وغير خديجة ﵂ ، وتزوّج ﷺ أم سلمة ﵂ سنة أربع وأمّها عاتكة عمّة رسول الله ﷺ، وتوفّيت سنة تسع وخمسين في أيام معاوية أيضاً ﵁ ؛ وقيل: توفّيت سنة إحدى وستّين في يوم عاشوراء، وهو اليوم الّذي قتل فيه الحسين ﵁ ، وتزوّج ﷺ زينب بنت جحش في سنة خمس، وتوفّيت في سنة عشرين في أيام عمر ﵁ ، وهي أوّل أزواجه ﷺ لحوقاً به، وتزوّج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان، وتوفّيت سنة أربع وأربعين في أيام أخيها معاوية ﵁ ، وتزوّج جويرية بنت الحارث المصطلقية، وتوفّيت سنة ستّ وخمسين في أيام معاوية، وتزوّج ميمونة بنت الحارث في سنة سبع، وتوفّيت سنة أربعين، ومات ﷺ عن تسع.

البرذون: بكسر الباء وبالذال المعجمة، والجمع براذين، والأنثى برذونة، وكنيته أبو الأخطل كني به لخطل أذنيه، وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربي، وهو الّذي أبواه أعجميان، والأعجمي من النّاس الّذي لا يفصح الكلام عجمياً كان أو عربياً، ألا تراهم قالوا: زياد الأعجم لعجمة كانت في لسانه، وهو عربي، قال ﷺ: «**صلاة النهار عجماء**» لإخفاء القراءة فيها، لكن قال النووي: إنّه حديث باطل ويطلق العجمي والأعجمي على من ليس من أهل الكلام، قال ﷺ: «**العجماء جرحها جبار**»، وهي الدابة المنفلتة وإلاّ فالإجماع على تضمين السائق والقائد.

وقال صاحب «**منطق الطير**»: إنّ البرذون يقول كل يوم: اللّهمّ إنّي أسألك قوت يوم بيوم، وروى الحاكم عن ابن مسعود ﵁ قال: كأنّي بالترك وقد أتتكم على براذين مجدّعة الآذان حتى تربطها بشط الفرات. وروي أيضاً عن أبي هريرة ﵁ أنّه مر بمروان وهو يبني في داره بالمدينة، قال: فجلست إليه والعمّال يعملون، فقلت: ابنوا مشيداً وأملوا بعيداً وموتوا قريباً، فقال مروان: إنّ أبا هريرة يحدّث العمّال، فماذا تقول لهم يا أبا هريرة؟ قال: قلت ابنوا مشيداً وأملوا بعيداً وموتوا قريباً، يا معشر قريش ـ ثلاث مرّات ـ اذكروا كيف كنتم أمس، وكيف

أصبحتم اليوم تُخْدَمون؟ أرقاؤكم فارس والروم، كلوا خبز السميد واللحم السمين لا يأكل بعضهم بعضاً ولا تكادموا تكادم البراذين وكونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرتفع رجل منكم في الدنيا درجة إلاّ وضعه الله يوم القيامة درجة.

وأنشد السراج الوراق في «**مناهج الفكر**» في أوصاف الخيل المذمومة:

لصاحب الأحباس برذونة بعيدة العهد عن القرط
إذا رأت خيلاً على مربط تقول سبحانك يا معطي
تمشي إلى خلف إذا ما مشت كأنّما تكتب بالقبطي

قال الجاحظ: سألت بعض الأعراب أي الدواب آكل قال: برذونة رغوث، وفي أواخر الجزء الخامس من الغيلانيات، وفي «**المستدرك**» في كتاب اللباس عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ على برذون وعليه عمامة، وقد أرخى طرفها بين كتفيه، فسألت رسول الله ﷺ عنه فقال: «هل رأيته؟» قلت: نعم، قال: «**ذاك جبريل أمرني أن أمضي إلى بني قريظة**»، وقال في «**الكامل**» في حوادث سنة خمس عشرة لمّا افتتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس وقدم إلى الشام أربع مرّات الأولى على فرس والثانية على بعير والثالثة رجع لأجل الطاعون والرابعة على حمار، وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية فركب فرسه فرأى به عرجاً، فنزل عنه وأُتِيَ ببرذون فركبه، فجعل يتجلجل به أي يزهو في مشيته، فنزل عنه، وصرف عنه وجهه وقال: لا عَلَّم الله من علَّمك هذه الخيلاء، ثم ركب ناقته ولم يركب برذوناً بعده، ولا قبله أبداً.

وكان عمر رضي الله عنه لما أراد الخروج إلى الشام استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له عليّ: أنت تخرج بنفسك إلى هذا العدوّ الكلب؟ فقال عمر رضي الله عنه: أبادر بالجهاد قبل موت العباس رضي الله عنه، إنّكم إذا فقدتم العباس رضي الله عنه انتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل، فمات العباس رضي الله عنه لستّ سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه وانتفض بالنّاس الشر كما قال عمر رضي الله عنه.

وفي «**وفيات الأعيان**» في ترجمة أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري شيخ البصريين في الاعتزال قال: خرجت من البصرة على برذون أريد المأمون ببغداد، فسرت إلى دير هرقل، فإذا رجل مشدود في حائط الدير فسلّمت عليه فرد علي السلام، وحملق إليّ وقال: أمعتزلي أنت؟ قلت: نعم، قال: وإمامي أنت؟ قلت: نعم، قال: أنت إذاً أبو الهذيل العلاف؟ قلت: أنا ذاك، قال: فهل للنوم لذّة؟ قلت: نعم، قال: ومتى يجدها صاحبها؟ فقلت لقلبي: إن قلت: مع النوم أخطأت فإنّه ذاهب العقل، وإن قلت قبل النوم أخطأت أيضاً لأنّك أحلت على عدم وإن قلت: بعد النوم غلطت لأنّه شيء قد انقضى، قال: فتحيّر فهمي وجال في الخاطر وهمي، وقلت له: قل أنت حتى أسمع منك، وأنقل عنك، فقال: بشرط أن تسأل امرأة

صاحب هذا الدير أن لا تضربني يومي هذا، فسألتها فأجابت، فقال: اعلم أنّ النّعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم، فاستحسنت ذلك منه، وهممت بالانصراف، فقال: يا أبا الهذيل قف، واسمع مسألة عظمى، قال: ما تقول في رسول الله ﷺ أمين هو في السماء والأرض؟ قلت: نعم، قال: أتحب أن يكون الخلاف في أمّته أم الوفاق؟ قلت: بل الوفاق والاتفاق، فقال: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فما باله ﷺ حين مرض مرض موته ما قال هذا خليفتكم من بعدي وقد نص ﷺ على الوصية وحث عليها وحرض؟ قال أبو الهذيل: فلم أحر جواباً وسألته الجواب، فتنكرت حاله. ففتلت عنان برذوني وانصرفت عنه فوصلت إلى المأمون، فاستخبرني عن طريقي، فأخبرته بما جرى.

فأمر بإحضاره على حالته الّتي هو عليها، فأُحضر، فقال له المأمون: أعد السؤال الّذي سألت عنه أبا الهذيل، فأعاده، وكان في المجلس جماعة من العلماء الأفاضل، فما منهم من أجاب، فقال له المأمون: وما الجواب؟ فقال: سبحان الله أكون سائلاً ومجيباً في حالة واحدة، فقال المأمون: وما عليك أن تفيدنا، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، اعلم أنّ الله عزّ وجل حكم في سالف أزله وقضى وقدر في سابق علمه، وأطلع نبيه ﷺ من ذلك على حكمه، فلم يكن له أن يتعدّاه ولا أن يتخطاه، فترك الأمر على ما قدّره الله تعالى وقضاه، إذ لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، فاستحسن المأمون ذلك، وعرض له شغل فقام داخلاً إلى داره فقال له المجنون: يا بن اللخناء أخذت منفوعنا وفررت منّا، فعاد المأمون وقال له: ما تشتهي؟ فقال: ألف دينار، قال: وما تصنع بها؟ قال: آكل بها كسباً وتمراً فأمر له بها وحمله إلى أهله وهو على حاله.

وتوفّي أبو الهذيل العلاّف سنة سبع وعشرين ومائتين، وذكروا أنّ السِّنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب، وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه المعرفة بالأشياء، وقد نفى الله ذلك عن نفسه بقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: 255]، لأنّه آفة، وهو سبحانه وتعالى منزّه عن الآفات، ولأنّه تغير ولا يجوز عليه تبارك وتعالى.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في «**كتاب الأذكياء**» عن خالد بن صفوان التيمي أنّه دخل على أبي العباس السفّاح وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فليفعل، فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين إنّي فكّرت في أمرك وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحداً له قدرة اتساع على الاستمتاع بالنّساء مثلك، ولا أضيق فيهن عيشاً منك، إنّك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فإن مرضت مرضت وإن غابت غبت وإن عركت عركت، وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق الجواري ومعرفة اختلاف أحوالهنّ والتلذّذ بما يشتهى منهنّ فإنّ منهنّ الطويلة التي تشتهى

لجسمها والبيضاء الّتي تحب لرؤيتها، والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة، والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهنّ ونظافتهنّ، وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن.

فلمّا فرغ من كلامه قال له السفّاح: ويحك، ملأت مسامعي بما شغل خاطري والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا، فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعاً، فأعاد إليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم قال له: انصرف، فانصرف وبقي أبو العباس مفكراً، فدخلت عليه أم سلمة زوجته، وكان قد حلف لها أن لا يتّخذ عليها زوجة ولا سرية ووفى لها بذلك، فلمّا رأته على تلك الحالة قالت له: إنّي لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له قال: لا. فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد، فقالت: وما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: أينصحني وتشتمينه، فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد، قال خالد: فخرجت من الدّار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك في الصلة، فبينما أنا واقف إذ أقبلوا يسألون عنّي فحققت أنّه أمر لي بالجائزة، فقلت لهم: ها أناذا فاستبق إلي أحدهم بخشبة، فغمزت برذوني، فلحقني وضرب كفل البرذون فركضت ففتهم واستخفيت في منزلي أياماً ووقع في قلبي أنّي أُتيتُ من أم سلمة.

فبينما أنا ذات يوم جالس في المجلس فلم أشعر إلاّ بقوم قد هجموا عليّ وقالوا: أجب أمير المؤمنين فسبق إلى قلبي أنّه الموت، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله لم أر دم شيخ أضيع من دمي، فركبت إلى بيت أمير المؤمنين، فأصبته جالساً ولحظت في المجلس بيتاً عليه ستور رقاق وسمعت حساً من خلف الستر، فأجلسني ثم قال: ويحك يا خالد وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها، فقلت: يا أمير المؤمنين أعلمتك أنّ العرب إنّما اشتقت اسم الضرّتين من الضرر وإنّ أحداً يكون عنده من النساء أكثر من واحدة إلاّ كان في ضرٍّ وتنغيص، فقال السفّاح: لم يكن هذا كلامك أولاً، قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أنّ الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤوس ويشيّبن الرؤوس، فقال السفاح: برئت من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك أو مر في حديثك، قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أنّ الأربع من النساء شر مجموع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه، قال: والله ما سمعت هذا منك أولاً؟ قلت: بلى والله، قال: أتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ نعم والله يا أمير المؤمنين إنّ أبكار الإماء رجال إلاّ أنهنّ ليس لهن خصي، قال خالد: فسمعت ضحكاً من خلف الستر، ثم قلت: والله وأخبرتك أنّ عندك ريحانة قريش، وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجواري، فقيل لي من وراء الستر: صدقت والله يا عمّاه بهذا حدثته، ولكنه غيّر حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك، فقال له السفّاح: قاتلك الله، قال خالد: فانسللت وخرجت فبعثت إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

الحكم: هو كعموم الخيل.

الخواص: إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبداً، وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصية فيه، وإذا جفف وذر منه في الأنف حبس الرعاف، وإذا ذر على الجراحات حبس الدم.

التعبير: البرذون في المنام خصومة، وقيل غلام، ويعبّر أيضاً برجل عجمي والبراذين رجال أعاجم، ويعبّر أيضاً بامرأة، فمن سرق برذونه طلّق زوجته، وضياعه فجور المرأة، والله أعلم.

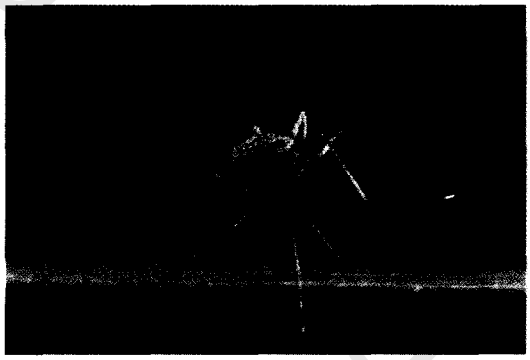

البرغش: بفتح الباء والغين المعجمة نوع من البعوض. وأنشد الحافظ زكي الدين عبد العظيم لشيخه الحافظ أبي الحسن المقدسي شيخ والد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، ووفاته في مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وستمائة بالقاهرة:

ثلاث بآآت بلينا بها البق والبرغوث والبرغش
ثلاثة أوحش ما في الورى يا ليت شعري أيها أوحش

البرغن: بفتح الباء والغين المعجمة وضمهما، ولد البقرة الوحشية.

البرغوث: بالباء المثلثة، واحد البراغيث، وضم بائه أشهر من كسرها وقولهم: أكلوني البراغيث لغة طيء، وهي لغة ثابتة خرجوا عليها قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: 3] على أحد المذاهب، وقوله عزّ وجل: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر: 7] ومثله: «**يتعاقبون فيكم ملائكة**»، وقوله في **صحيح مسلم** وغيره حتى احمرتا عيناه. وأشباهه كثيرة معروفة، وقال سيبويه لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن، قال والضمير في ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ فاعل والّذين بدل منه.

وكنية البرغوث أبو طافر وأبو عدي وأبو الوثاب، ويقال له: طامر بن طامر وهو من الحيوان الّذي له الوثب الشديد، ومن لطف الله تعالى به أنّه يثب إلى ورائه ليرى من يصيده لأنّه لو وثب إلى أمامه لكان ذلك أسرع إلى حمامه. وحكى الجاحظ عن يحيى البرمكي أنّ البرغوث من الخلق الّذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل، وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ بعد أن يتولد وهو ينشأ أوّلاً من التراب لاسيّما في الأماكن المظلمة، وسلطانه في أواخر فصل الشتاء وأوّل فصل الربيع، وهو أحدب نزاء، ويقال إنّه على صورة الفيل له أنياب يعض بها وخرطوم يمص به.

وحكمه: تحريم الأكل واستحباب قتله للحلال والمحرم ولا يسب لما روى الإمام أحمد والبزار والبخاري في «**الأدب**» والطبراني في «**الدعوات**» عن أنس ﷺ أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً فقال: «**لا تسبه فإنه أيقظ نبيّاً لصلاة الفجر**». وفي «**معجم الطبراني**» عن أنس ﷺ قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال: «إنّها توقظ للصلاة»، أي لصلاة الفجر، وفيه عن عليّ ﷺ قال: نزلنا منزلاً فآذتنا البراغيث، فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوها فنعمت الدابة فإنّها أيقظتكم لذكر الله تعالى**»، ويعفى عن قليل دمها في الثوب والبدن لعموم البلوى به وعسر الاحتراز.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على التجاوز والعفو عن دم البراغيث ما لم يتفاحش، قال أصحابنا: ولا خلاف في العفو عن قليله إلاّ إذا حصل بفعله كما إذا قتله في ثوبه أو بدنه، ففي العفو عنه وجهان: أصحّهما العفو أيضاً، وكذلك كل ما ليس له نفس سائلة كالبق والبعوض وشبههما، وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن ثوب فيه دم البراغيث: هل يجوز للإنسان أن يلبسه رطباً، ثم يصلّي فيه، وإذا عرق فيه هل يصلّي فيه، وهل يتنجّس بذلك بدنه أو يعفى عنه وهل يندب له غسله قبل وقته المعتاد؟ فأجاب: نعم ينجس الثوب والبدن بذلك ولا يؤمر بغسله إلاّ في الأوقات المعتادة، وغسله في غير ذلك ورع خارج عمّا كان السلف عليه، وكانوا أحرص على حفظ أديانهم من غيرهم، وأمّا الكثير من دم البراغيث فالأصح عند المحققين كما قاله النووي: العفو عنه مطلقاً سواء انتشر بعرق أم لا.

فائدة مجرّبة: صحيحة للبراغيث: وهو أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدّار، ثم تقول 25 مرّة: أقسمت عليكم أيّها البراغيث أنّكم جند من جنود الله من عهد عاد وثمود، وأقسمت عليكم بخالق الوجود الفرد الصمد المعبود أن تجتمعوا إلى هذا العود ولكم عليّ المواثيق والعهود أن لا أقتل منكم والداً ولا مولوداً فإنّها تجتمع، فإذا اجتمعت إلى العود فخذها وارمها إلى مكان آخر، ولا تقتل منها أحداً يبطل السر، ثم تكنس البيت وتقول عليه 40 مرّة ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]، فإن فعل ذلك لم يدخل البيت برغوث أبداً، وهو سر لطيف مجرّب.

فائدة: سئل مالك رحمة الله عليه عن البراغيث: أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق ملياً، ثم قال: ألها نفس؟ قالوا: نعم، قال: ملك الموت يقبض أرواحها، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42] الآية، ويدل له ما يأتي في البعوض.

الأمثال: قالوا: أطمر من برغوث وأطير من برغوث.

وخاصيته: اللسع والأذى، قال بعض الأعراب يصف البراغيث وقد سكن مصر:

تطاول في الفسطاط ليلي ولم يكن بأرض الغضا ليلٌ عليّ يطول
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وليس لبرغوث عليّ سبيل

وقد أجاد مجد الدين أبو الميمون الكناني حيث قال ملغزاً في البراغيث:

ومعشر يستحل النّاس قتلهم كما استحلوا دم الحجّاج في الحرم
إذا سفكت دماً منهم فما سفكت يداي من دمه المسفوك غير دمي

وقال أبو الحسن بن سكرة الهاشمي في مليح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن لأنّي متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عني رقادي فإن أغمضت أيقظني أبوه

ومن محاسن شعره:

كأنّ خالاً لاح في خدّه للعين في سلسلة من عذار
أسود يتخدم في جنّة قيّده مولاه خوف الفرار

وله أيضاً:

وما عشقي له وَخْشاً لأنّي كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحاً وكل النّاس يهوون المليحا

وله أيضاً:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنّك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقيل إن هذين البيتين للعباس بن الأحنف. توفّي ابن سكرة سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

فائدة: روى ابن أبي الدّنيا في «**كتاب التوكّل**» أنّ عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 12] الآية، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته: وينفع من البراغيث، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء آية أخرى نظير هذه ذكرها في «**فردوس الحكمة**»، وفي «**كتاب الدعوات**» للمستغفري عن أبي الدرداء رضي الله عنه و«**شرح المقامات**» للمسعودي عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرّات: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 12] الآية، ثم تقول: إن كنتم مؤمنين فكفّوا شرّكم وأذاكم عنّا، ثم ترشّه حول فراشك فإنّك تبيت آمناً من شرّها».

وقال حمين بن إسحاق: والحيلة في طرد البراغيث أن يؤخذ شيء من الكبريت والراوند، فيدخن بهما في البيت فإنّهن يهربن أو يمتن أو يحفر في البيت حفيرة، ويلقي فيها

ورق الدفلى فإنّهن يأوين إليها كلّهن فيقعن فيها. وقال الرّازي: يرش البيت بطبخ الشونيز فإنّه يقتل براغيثه، وقال غيره: إذا نقع السذاب في ماء ورش في بيت ماتت براغيثه، وإذا بخّر البيت بمشاق الكتان القديم وقشور النارنج لا تعود البراغيث إليه أبداً، وإذا دخل البرغوث في أذن الإنسان اليمنى فليمسك بيده اليمنى خصية نفسه اليسرى، وإذا دخل في أذنه اليسرى فليمسك بيده اليسرى خصية نفسه اليمنى، فإنّه يخرج سريعاً.

التعبير: البراغيث في المنام أعداء ضعفاء طعانون، وتعبر أيضاً بأوباش النّاس، وقال جاماسب: من قرصه برغوث نال مالاً.

البُرَا: بضم الباء، طائر يسمّى السمويل، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة.

البرقانة: الجرادة المتلوّنة، وجمعها برقان، قاله ابن سيّده.

البرقش: بكسر الباء الموحّدة ثم راء مهملة فقاف فشين معجمة، طائر صغير مثل العصفور ويسمّيه أهل الحجاز الشرشور، وأمّا أبو براقش فسيأتي في آخر الباب إن شاء الله تعالى، وبراقش اسم كلبة ضرب بها المثل، فقالوا على أهلها دلّت براقش لأنّها سمعت وقع حوافر الدواب فنبحت فاستدلّوا بنباحها على القبيلة، فاستباحوهم.

البُرْكة: بالضم طائر من طيور الماء، والجمع برك، قال زهير يصف قطاة فرت من صقر إلى ماء جار على وجه الأرض:

حتى استغاثت بماء لا رشاء له بين الأباطح في حافاته البرك

قال ابن سيده: البركة من طير الماء، والجمع برك وأبراك وبركان، وعندي أن أبراكاً وبركاناً جمع الجمع، والبركة أيضاً الضفدع، وقد فسّر به بعضهم قول زهير في حافاته البرك، انتهى كلامه قال: والبرك جماعة الإبل الباركة، الواحد بارك والأنثى باركة، قاله في **العباب**.

البشر: الإنسان الواحد، والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء، وقد يثنى، وفي التنزيل ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47] والجمع أبشر.

البط: طائر الماء، الواحدة بطّة، وليست الهاء للتأنيث، وإنّما هي للواحد من الجنس، يقال هذه بطّة للذكر والأنثى جميعاً، مثل حمامة ودجاجة، وليس بعربي محض، والبط عند العرب صغاره وكباره إوز.

وحكمه وخواصه: كالإوز. في «**مسند الإمام أحمد**» عن عبد الله بن رويس، قال:

دخلت على عليّ بن أبي طالب ﷺ في يوم نحر، فقرب إلينا خزيرة فقلنا: أصلحك الله، لو قرّبت إلينا من هذا البط، يعنون الإوز، فإنّ الله تعالى قد أكثر الخير، فقال: يا ابن رويس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لخليفة من مال الله تعالى إلاّ قصعتان، قصعة يأكلها وقصعة يضعها بين أيدي النّاس**»، وفي «**كامل**» ابن عدي في ترجمة عليّ بن زيد بن جدعان قال سفيان بن عيينة: سمعت علي بن زيد بن جدعان سنة سبع وستّين يقول: مثل النساء إذا اجتمعن بمنزلة البط إذا صاحت واحدة صحن جميعاً.

فرع: قال الماوردي: البط الذي لا يطير من الإوز لا جزاء فيه إذا قتله المحرم لأنّه ليس بصيد، وقال غيره: الطيور المائية الّتي تغوص في الماء، وتخرج منه محرمة على المحرم، ومثّلوه بالبط، أمّا الّذي لا يعيش إلاّ في الماء كالسمك فلا يحرم صيده، ولا جزاء فيه، والجراد من صيد البر، يجب الجزاء بقتله على الصحيح.

الأمثال: ومن الأمثال السائرة بين العامة: أو للبط تهددين بالشط، قلت: وقد أذكرني هذا ما حكاه القاضي أحمد بن خلكان رحمه الله في ترجمة السلطان نور الدّين محمود بن زنكي رحمه الله، وكان بينه وبين أبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقّب براشد الدين صاحب القلاع الإسماعيلية مكاتبات، فكتب السلطان إليه كتاباً يهدده فيه، فكتب سنان جوابه أبياتاً ورسالة وهما:

يا للرجال لأمر هال مفظعه ... ما مر قط على سمعي توقعه
يا ذا الّذي بقراع السيف هددنا ... لا قام قائم جنبي حين تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدده ... واستيقظت لأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى بإصبعه ... يكفيه ما قد تلاقي منه إصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله، وعلمنا ما تهددنا به من قوله وعمله، فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها قبلك قوم آخرون، فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون، أو للحق تدحضون، وللباطل تنصرون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227]، وأمّا ما صدرت به من قولك من قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإنّ الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوي وضعيف ودني وشريف، وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله ﷺ في قوله: «**ما أوذي نبيّ ما أوذيت**»، وقد علمتم ما جرى على عترته، وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال، والأمر ما زال، ولله الحمد في الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، وقد علمتم ظاهر

حالنا، وكيف قتال رجالنا، وما يتمنونه من الفوت، ويتقرّبون به إلى حياض الموت، ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة: 6-7].

وفي أمثال العامة السائرة: أوللبط تهددين بالشط، فهيّىء للبلايا جلباباً وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرنّ عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك، ولا تكونن كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، وإذا وقفت على كتابنا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ أوّل النّحل وآخر صاد، ثم اختتمها بهذين البيتين:

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيه واستقرّ عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها قِدْماً وفينا جديدها

ويشبه هذا ما حكاه أيضاً في ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب، وكان بينه وبين الأدفونش صاحب طليطلة مكاتبات، قال: بعث الأدفونش رسولاً إلى الأمير يعقوب يتوعّده ويتهدده ويطلب منه بعض الحصون، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزيره ابن النجّار وهي:

باسمك اللّهمّ فاطر السموات والأرض وصلّى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح. أمّا بعد، فإنّه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب أنّك أمير الملّة الحنيفية، كما أنّي أمير الملّة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل، وإهمالهم أمر الرعية وإخلادهم إلى الراحة والأمنية، وأنا أسوسهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثّل بالرجال وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال، ولا عذر لك في التخلّف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة، وساعدك من عساكرك وجنودك ذوو رأي وخبرة، وأنتم تزعمون أنّ الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم، والآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً رحمة منه ومَنّاً، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منّا، لا تستطيعون دفاعاً، ولا تملكون امتناعاً، وقد حدثنا عنك أنّك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك سنة بعد أخرى، وتقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بوعد ربّك، ثم قيل لي: إنّك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً، ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه سبيلاً، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك، وأعتذر عنك ولك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسله إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات وإلاّ جزت بجملتي إليك، فأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك، وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت لي اليد العليا عليك، واستحققت إمارة الملّتين، والحكم على البرين، والله يوفق للسعادة، ويسهّل الإرادة، لا رب غيره، ولا خير إلاّ خيره.

فمزّق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: 37]، الجواب ما ترى لا ما تسمع، واستشهد ببيت المتنبّي:

ولا كتبَ إلاّ المشرفيةُ عندَه ولا رسلٌ إلاّ الخميس العرمرم

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار، وضربت السرادقات من يومه بظاهر البلد، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة، فعبر فيه إلى الأندلس ودخل بلاد الفرنج، فكسرهم كسرة شنيعة، وعاد بغنائمهم، وكان الأمير يعقوب متمسّكاً بالشرع، يأمر بالمعروف ويقيم الحدود حتى في أهل بيته كما يقيمها في النّاس أجمعين، وأمر برفض فروع الفقه، وأنّ الفقهاء لا يفتون إلاّ بالكتاب العزيز والسنّة النبوية، ولا يقلّدون أحداً وأن تكون أحكامهم بما يؤدّي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس، وقد وصل إلينا من المغرب جماعة على تلك الطريقة منهم أبو عمرو وأبو الخطاب، ابنا دحية، ومحيي الدّين بن عربي الصوفي، صاحب «**الفصوص**» و«**الفتوحات المكيّة**»، وعنقاء مغرب وغيرهم. وتوفّي الأمير يعقوب في سنة تسع أو عشر وستّمائة رحمة الله تعالى عليه.

ولنعد إلى ذكر السلطان محمود، قال ابن الأثير: بلغ من عدل نور الدّين الشهيد أنّه أوّل من بنى داراً لكشف الظلامات وسمّاها دار العدل، وسببه أنّه لمّا أقام بدمشق بأمرائه وفيهم أسد الدين شيركوه تعدّى كل منهم على من جاوره، فكثرت الشكاوى إلى القاضي كمال الدّين السهروردي، فأنصف بعضهم من بعض، ولم يقدر على الإنصاف من شيركوه لأنّه كان أكبر الأمراء، فبلغ ذلك نور الدّين الشهيد، فأمر ببناء دار العدل، فلمّا سمع شيركوه قال لنوّابه: ما بنى نور الدّين هذه الدّار إلاّ بسببي، وإلاّ فمن يمتنع على القاضي كمال الدّين، والله لئن أُحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنّه، فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه شيء فافصلوا الحال معه، وأرضوه، ولو أتى على جميع ما بيدي.

قال: فظلم رجل بعد موت نور الدّين الشهيد، فشق ثوبه واستغاث: يا نور الدّين فاتّصل خبره بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأزال ظلامته، فبكى الرجل أشدّ من الأوّل، فسئل عن ذلك، فقال: أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته. وتوفّي نور الدّين الشهيد في شوّال سنة تسع وستّين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلّة الخوانيق، وكان الأطباء قد أشاروا عليه بالفصد، فامتنع. وكان مهيباً، فما روجع، ودفن بالقلعة، ثم نقل إلى تربته بمدرسته الّتي أنشأها عند باب سوق الخوّاصين، والدعاء عند قبره مستجاب، وقد جرّب، وكان رحمه الله ملكاً عادلاً، عابداً، ورعاً، متمسكاً بالشريعة، مائلاً إلى أهل الخير، مجاهداً، كثير الصدقات، بنى المدارس بجميع بلاد الشام والمارستان بدمشق ودار الحديث بها، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري وبحماة الجامع الّذي على نهر العاصي، وبنى الرباطات للصوفية والفنادق في المنازل، وأثر في الإسلام آثاراً حسنة لم يسبق إليها، وانتزع من أيدي الكفّار نيفاً وخمسين

مدينة، ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى، وتوفّي السلطان الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بها.

قال ابن خلكان: ولمّا مات كتب القاضي الفاضل ساعة موته بطاقة إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب، مضمونها: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم، كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة، وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وقد حفرت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر، وقد ودّعت أباك مخدومي وداعاً لا تلاقي بعده، وقبّلت عنّي وعنك خدّه، وأسلمته إلى الله عزّ وجل مغلوب الحيلة ضعيف القوّة، راضياً عن الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وبالباب من الأجناد المجنّدة والأسلحة والأعمدة ما لا يردّ البلاء، ولا يملك دفع القضاء، وتدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلاّ ما يرضي الرّب وإنّا عليك لمحزونون يا يوسف، وأمّا الوصايا فلا يحتاج إليها، والآراء فقد شغلتني المصائب عنها وأمّا لائح الأمر فإنّه إن وقع الاتفاق فما عدمتم إلاّ شخصه الكريم، وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته، وهو البلاء العظيم، والسلام.

وكان رحمه الله مع سعة ملكه كثير التواضع، قريباً من النّاس، رحيم القلب، كثير الاحتمال والمداراة، يميل لأهل الفضل ويستحسن الأشعار الجيّدة، ويردّدها في مجلسه، وكان كثيراً ما ينشد قول محمد بن الحسين الحميري:

وزارني طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحاً ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي ... نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثّل بهذين البيتين، وهما:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذَيْنِ أخيب

وعمّر رحمه الله ستّاً وخمسين سنة وشهوراً.

البطس: أنواع من السمك لها مرارات يكتب بها الكتب، فإذا جففت قرئت في الظلام كما تقرأ بالنّهار في ضوء الشمس ذكر ذلك صاحب «**المعطار**».

البعوض: دويبة، قال الجوهري: إنّه البق الواحدة بعوضة وهو وهم، والحق أنّه صنفان، وهو يشبه القراد، لكن أرجله خفيفة، ورطوبته ظاهرة ويسمّى بالعراق والشام الجرجس. قال الجوهري: وهو لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار، والبعوض على خلقة الفيل إلاّ أنّه أكثر أعضاء من الفيل، فإنّ للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذنباً، وله مع هذه

الأعضاء رجلان زائدتان، وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت وخرطومه مجوّف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدّم، وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم، ولذلك اشتدّ عضها، وقويت على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز:

مثل السفاة دائماً طنينها ركب في خرطومها سكينها

وممّا ألهمه الله تعالى أنّه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخّى بخرطومه المسام الّتي يخرج منها العرق لأنّها أرق بشرة من جلد الإنسان، فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، وفيه من الشره أن يمصّ الدم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران، فيكون ذلك سبب هلاكه. ومن عجيب أمره أنّه ربّما قتل البعير، وغيره من ذوات الأربع، فيبقى طريحاً في الصحراء، فتجتمع السباع حوله والطير الّتي تأكل الجيف، فمن أكل منها شيئاً مات لوقته، وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض فيأخذ من يريد قتله، فيخرجه مجرّداً إلى بعض الآجام الّتي بالبطائح، ويتركه فيها مكتوفاً فيقتل في أسرع وقت وأقرب زمان، وما أحسن قول أبي الفتح البستي في هذا المعنى:

لا تستخفن الفتى بعداوة أبداً وإن كان العدو ضئيلا
إنّ القذى يؤذي العيون قليله ولربّما جرح البعوض الفيلا

وما ألطف ما قال بعضهم:

لا تحقرن صغيراً في عداوته إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

ونحوه قول أبي نصر السعدي:

ولا تحقرن عدواً رماك وإن كان في ساعديه قصر
فإنّ الحسام يحز الرقاب ويعجز عمّا تنال الإبر

وله أيضاً، وقيل: إنّه لجمال الدّين بن مطروح:

يا من لبست عليه أثواب الضنا صفراً موشحة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لو لم تذب أسفاً عليك رميتها عن أضلعي

ومن محاسن شعره أيضاً قوله:

لما وقفنا للوداع وصار ما كنّا نظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤاً ونثرت من ورق البهار عقيقا

ونحوه قول إبراهيم بن علي القيرواني صاحب «**زهر الأدب**» وغيره، كان كلفاً بالمعذرين:

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تمد خلوقا
نظموا البنفسج بالشقيق ونضدوا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

وروى الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لو كانت الدّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء**»، وكذلك رواه الحاكم، وصححه. وقال الشاعر في ذلك:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه جناح بعوض عند من كنت عبده
وأشغلَ جزء منه كُلَّك ما الّذي يكون على ذا الحال قدرك عنده؟

ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى أنّه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها، بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود بنفسه، وأنّه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء إنّما جعلها دار محنة وبلاء وأنّه ملّكها في الغالب الجهلة والكفرة، وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال وحسبك بها هواناً على الله أنّه سبحانه وتعالى صغرها وحقرها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبيها، ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزوّد منها والتأهّب للارتحال عنها، ويكفي في ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله تعالى وما والاه أو عالم أو متعلم**»، وهو حديث حسن غريب، ولا يفهم من هذا إباحة لعن الدنيا وسبّها مطلقاً، لما روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لا تسبّوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، إنّ العبد إذا قال: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه**»، خرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي، وهذا يقتضي المنع من سبّ الدنيا ولعنها، ووجه الجمع بينهما أنّ المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعداً عن ذكر الله وشاغلاً عنه كما قال بعض السلف: كل ما يشغلك عن ذكر الله من مال وولد فهو مشؤوم عليك، وهو الّذي نبّه عليه الله تعالى بقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: 20]، وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان، المحبوب لكل إنسان، فمثل هذا لا يسب، بل يرغب فيه ويحبّ، وإليه الإشارة بالاستثناء حيث قال: «**إلاّ ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم**» وهو المصرّح به في قوله: «**نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر**»، وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين.

وفي «**الإحياء**» للغزالي في الباب السادس من أبواب العلم أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب ولا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرأوا إن شئتم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: 105]»، رواه البخاري في التفسير، ومثله في التوبة، قال العلماء: معنى هذا الحديث أنّهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: يؤتى بأعمال كجبال تهامة، فلا

تزن عند الله شيئاً؛ وقيل: المراد المجاز والاستعارة كأنّه قال: لا قدر لهم عندنا يوم القيامة، وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلّف المطاعم الزائدة على قدر الكفاية، وقد قال ﷺ: «**إنّ أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين**».

قال وهب بن منبه لمّا أرسل الله تعالى البعوض على النمروذ، اجتمع في عسكره ما لا يحصى عدداً، فلمّا عاين النمروذ ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته وأغلق الأبواب وأرخى الستور، ونام على قفاه مفكراً، فدخلت بعوضة في أنفه وصعدت إلى دماغه، فعذّب بها أربعين يوماً حتى إنّه كان يضرب برأسه الأرض، وكان أعزّ النّاس عنده من يضرب رأسه، ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول: كذلك يسلّط الله رسله على من يشاء من عباده، ثم هلك حينئذٍ. وقال محمد بن العباس الخوارزمي الطبرخزي في الوزير أبي القاسم المزني لمّا قبض عليه:

لا تعجبوا من صيد صعو بازياً ... إنّ الأسود تصاد بالخرفان

قد غرقت أملاك حمير فأرة ... وبعوضة قتلت بني كنعان

وروى جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «**ارفق بصاحبي، فإنّه مؤمن**»، قال: إنّي بكل مؤمن رفيق، وما من أهل بيت إلاّ أتصفحهم في كل يوم خمس مرّات، ولو أنّي أردت قبض روح بعوضة ما قدرت حتى يكون من الله تعالى الأمر بقبضها. قال جعفر بن محمد: بلغني أنّه يتصفّحهم عند مواقيت الصلاة، انتهى.

ومن هذا وما تقدّم عن مالك في البراغيث: يعلم أنّ ملك الموت هو الموكّل بقبض كل ذي روح، والبعوضة على صغر جرمها قد أودع الله تعالى في مقدم دماغها قوّة الحفظ، وفي وسطه قوّة الفكر، وفي مؤخره قوّة الذكر، وخلق لها حاسة البصر وحاسة اللمس وحاسة الشم، وخلق لها منفذاً للغذاء ومخرجاً للفضلة، وخلق لها جوفاً وأمعاء وعظاماً، فسبحان من قدّر فهدى، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى، وأنشد الزمخشري في تفسير سورة البقرة:

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل

امنن علي بتوبة تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الأوّل

ونقل ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنّ الزمخشري أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره. ويروى عوض امنن علي بتوبة كما قال بعضهم:

اغفر لعبد تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأوّل

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» وغيره أنّ الزمخشري كان يعتقد الاعتزال ويتظاهر به، وكان إذا استأذن على صاحب له بالدخول يقول: أبو القاسم المعتزلي بالباب، وأوّل ما صنّف من

الكتب «**الكشاف**»، فكتب في أوّل خطبته: الحمد لله الّذي خلق القرآن، فقيل له: إن تركته على هذه الهيئة هجره النّاس فغيّره، وقال: الحمد لله الّذي جعل القرآن، وجعل عندهم بمعنى خلق، ويوجد في كثير من النسخ: الحمد لله الّذي أنزل القرآن وهو من إصلاح النّاس لا من إصلاح المصنف، فافهم.

توفّي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وقد تكلّم في «**الإحياء**» في باب المحبّة على خلق البعوضة وصفتها وما أودعه الله تعالى فيها من الأسرار.

فائدة: رأيت في كتاب «**الدعاء**» للشيخ الإمام العلامة أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ويعرف بابن أبي رنده بالراء المهملة المفتوحة وتسكين النون، وهو إمام ورع أديب متقلل، وفاته بالإسكندرية، سنة اثنتين وخمسمائة. عن مطرف بن عبد الله بن أبي مصعب المدني أنّه قال: دخلت على المنصور فوجدته مغموماً حزيناً، قد امتنع عن الكلام لفقد بعض أحبّته، فقال لي: يا مطرف طرقني من الهمّ ما لا يكشفه إلاّ الله الّذي بلى به، فهل من دعاء أدعو به عسى يكشفه الله عنّي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين حدّثني محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصري قال: دخلت في أُذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه، فأنصبته وأسهرته ليله ونهاره، قال له رجل من أصحاب الحسن البصري: يا هذا ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ الّذي دعا به في المفازة وفي البحر، فخلّصه الله تعالى، فقال له الرجل: وما هو رحمك الله؟ فقال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: بعث العلاء بن الحضرمي في جيش كنت فيهم إلى البحرين فسلكنا مفازة فعطشنا عطشاً شديداً حتى خفنا الهلاك، فنزل العلاء وصلّى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا، فجاءت سحابه كأنّها جناح طائر فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية وسقينا الركاب، ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم ولا خيض بعده فلم نجد سفناً فصلّى العلاء ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم، أجرنا ثم أخذ بعنان فرسه، ثم قال: باسم الله جوزوا. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف.

قال: فدعا الرجل بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه لها طنين حتى صكت الحائط وبرأ الرجل، قال: فاستقبل المنصور القِبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ثم أقبل بوجهه إليّ وقال: يا مطرف قد كشف الله عنّي ما كنت أجده من الهمّ ودعا بالطعام، فأجلسني فأكلت معه.

ويقرب من هذا ما حكاه ابن خلكان في ترجمة موسى الكاظم بن جعفر الصادق أنّ هارون الرّشيد حبسه في بغداد ثم دعا صاحب شرطته ذات يوم فقال له: رأيت في منامي حبشياً أتاني ومعه حربة، وقال: إن لم تخل عن موسى بن جعفر وإلاّ نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخلّ

عنه، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فامض، قال صاحب الشرطة: ففعلت ذلك، وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً، فقال: أنا أخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ فقال: يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فإنّك لا تبيت هذه الليلة في السجن، قل: يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الّذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليماً ذا أناة لا يقدر على أناته يا ذا المعروف الّذي لا ينقطع معروفه أبداً، ولا نحصي له عدداً، فرّج عنّي، فكان ما ترى.

وتوفّي موسى الكاظم في رجب سنة ثلاث؛ وقيل سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد مسموماً؛ وقيل إنّه توفّي في الحبس. وكان الشافعي يقول: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب. وقد أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه الخطيب أبو بكر في «**تاريخه**»، وابن خلكان أيضاً في ترجمة يعقوب بن داود أنّ المهدي حبسه في بئر وبنى عليها قبّة، فمكث فيها خمس عشرة سنة، وكان يدلى له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة، قال: فلمّا كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آت في منامي فقال:

قضى على يوسف المولى فأخرجه ... من قعر جب وبيت حوله غُمَم

قال: فحمدت الله تعالى وقلت: أتاني الفرج، فمكثت حولاً لا أرى شيئاً، ففي رأس الحول أتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسى فرج يأتي به الله إنّه ... له كل يوم في خليقته أمر

قال: ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً، ثم أتاني ذلك الآتي في رأس الحول فأنشدني:

عسى الكرب الّذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله النائي الغريب

قال: فلمّا أصبحت، نوديت، فظننت أنّي أوذن بالصلاة، فأُدلي لي حبل فربطت نفسي به ونشلت من البئر، فانطلق بي، فأُدخلت على الرّشيد، فقيل لي: سلّم على أمير المؤمنين، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي، فقال لي: لست به، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي، فقال لي: لست به، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: الرّشيد، فقلت: الرّشيد، فقال: يا يعقوب ما شفع فيك إليّ أحد غير أنّي حملت الليلة صبية لي على عنقي، فذكرت حملك إياي على عنقك، فرثيت لك وأخرجتك، وكان يعقوب يحمل الرّشيد على عنقه وهو صغير يلاعبه، ثم أمر له بجائزة وصرفه.

الحكم: يحرم أكلها لاستقذارها.

فائدة: روى البخاري في «**الأدب**» والترمذي في مناقب الحسن والحسين ﷺ من حديث عبد الرّحمن بن أبي نعيم قال: كنت عند ابن عمر ﷺ فسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، فقال ابن عمر ﷺ: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وسمعته ﷺ يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»، قال: ولم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن والحسين ﷺ. وروى ابن حبان والترمذي عن عليّ رضي الله عنه قال: كان الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

فائدة أخرى: ذكر في «**الروض الزاهر**» عن الشعبي قال: لمّا بلغ الحجّاج أنّ يحيى بن يعمر يقول: إنّ الحسن والحسين ﷺ من ذرية رسول الله ﷺ، وكان يحيى بن يَعْمَر بخراسان، فكتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم والي خراسان أن ابعث إلى يحيى بن يعمر، فبعث به إليه، قال الشعبي: وكنت عند الحجّاج حين أُتي به إليه، فقال له الحجّاج: بلغني أنّك تزعم أنّ الحسن والحسين من ذريّة رسول الله ﷺ، قال: أجل يا حجّاج، قال الشعبي: فعجبت من جراءته بقوله: يا حجاج، فقال له الحجّاج: والله إن لم تخرج منها وتأتني بها مبينة واضحة من كتاب الله تعالى لألقين الأكثر منك شعراً ولا تأتني بهذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: 61]، قال: فإن خرجت من ذلك وأتيتك بها واضحة مبينة من كتاب الله تعالى فهو أماني؟ قال: نعم، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: 84-85]، ثم قال يحيى بن يعمر: فمن كان أبا عيسى وقد ألحقه الله بذريّة إبراهيم وما بين عيسى وإبرهيم أكثر ممّا بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه، فقال له الحجّاج: ما أراك إلاّ قد خرجت وأتيت بها مبينة واضحة، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط، وهذا من الاستنباطات البديعة.

ثم قال له الحجّاج: أخبرني عنّي هل ألحن، فسكت، فقال: أقسمت عليك، فقال: أما إذا أقسمت علي أيها الأمير فإنّك ترفع ما يخفض وتخفض ما يرفع، فقال: ذاك والله اللحن السيّء، ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم: إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك، والسلام. وقيل: إنّ الحجّاج قال ليحيى: أسمعتني ألحن، قال: في حرف واحد، قال: في أيّ؟ قال: في القرآن، قال: ذلك أشنع ما هو، قال: تقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: 24] إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ فتقرأها بالرفع، فقال الحجّاج: لا جرم تسمع لي لحناً، وألحقه بخراسان.

قال الشعبي: كان الحجّاج لما طال عليه الكلام نسي ما ابتدأ به، وذكره ابن خلكان في

ترجمة يحيى بن يعمر: وفيه بعض مخالفة، قلت في كلام يحيى تصريح بأنّ الضمير في ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ يعود على إبراهيم، والّذي في الكواشي والبغوي وغيرهما أنّ الضمير يعود إلى نوح لأنّ الله تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطاً، فقال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 85-86]، ويونس ولوط من ذريّة نوح لا من ذريّة إبراهيم، لكن استدلاله صحيح على القول الثاني أيضاً، قال ابن خلكان: كان يحيى بن يعمر تابعياً عالماً بالقرآن والنحو، وكان شيعياً من الشيعة الأول يتشيع تشيّعاً حسناً، يقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لأحد من الصحابة ﷺ. قال ابن خلكان: خطب أمير بالبصرة فقال: اتّقوا الله فإنّه من يتّق الله فلا هوارة عليه، فلم يدروا ما قال الأمير، فسألوا أبا سعيد يحيى بن يعمر العدواني فقال: الهوارة الضياع، كأنّه قال: من اتّقى الله فلا ضياع عليه، والهورات المهالك، واحدها هورة. وحدّث الأصمعي بهذا الحديث، فقال: إنّ الغريب لواسع لم أسمع بهذا قط.

وتوفّي يحيى بن يعمر سنة تسع وعشرين ومائة. ويعمر بفتح الياء والميم بينهما عين مهملة ساكنة، وقيل بضم الميم والأول أصح، انتهى.

تتمة: قال نصر بن يحيى، وكان من الثقات وأهل السنّة: رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكّة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحمين ما تمّ؟ فقال لي: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسمعها منه، ثم انتبهت فبادرت إلى حيص بيص، فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطّه إلى أحد وما نظمها إلاّ في ليلته ثم أنشدني قوله:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما ... عدونا على الأسرى فنعفو ونصفح
وحبكمو هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالّذي فيه ينضح

واسم الحيص بيص سعد بن محمد أبو الفوارس التميمي، شاعر مشهور، ويعرف بابن الصيفي، ولقّب بالحيص بيص لأنّه رأى النّاس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد، فقال: ما للنّاس في حيص بيص؟ فبقي عليه هذا اللّقب، ومعنى هاتين الكلمتين الشدّة والاختلاط، وتفقّه على مذهب الإمام الشافعي، وغلب عليه الأدب، ونظم الشعر، وكان مجيداً فيه، وكان إذا سئل عن عمره يقال: أنا أعيش في الدنيا مجازفة، لأنّه كان لا يحفظ مولده. وتوفّي سنة أربع وسبعين وخمسمائة، ومن محاسن شعره:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً ... أقصر عناك فإن الرزق مقسوم
الرزق يسعى إلى من ليس يطلبه ... وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله أيضاً:

يا طالب الطب من داء أصيب به إنّ الطبيب الّذي أبلاك بالدّاء
هو الطبيب الّذي يرجى لعافية لا من يذيب لك الترياق في الماء

وله أيضاً:

الـه عـمّـا اسـتـأثـر الله بـه أيها القلب ودع عنك الحرق
فـقـضـاء الله لا يـدفـعـه حول محتال إذا الأمر سبق

وله أيضاً:

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولّية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

الأمثال: قالوا: أعز من مخ البعوض، وقالوا: كلفتني مخ البعوض، يضرب لمن يكلف الأمور الشاقة، وأضعف من بعوضة.

فائدة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، قال الحسن وغيره: سبب نزولها أنّ الكفّار أنكروا ضرب الأمثال في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت؛ وقيل: لمّا ضرب الله تعالى المثلين في أوّل السورة للمنافقين يعني قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: 17]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 19]، قالوا: الله أجلّ وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل الله تعالى هذه الآية. قال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما: المعنى فما فوقها في الصغر، وقال قتادة وابن جريج وغيرهما: المعنى في الكبر، قال ابن عطية: الكلّ محتمل، والله أعلم.

البعير: سمّي بعيراً لأنّه يبعر، ويقال: بعر البعير يبعَر بفتح العين فيهما بعْراً بإسكان العين كذبح يذبح ذبحاً، قاله ابن السكيت وهو اسم يقع على الذكر والأنثى، وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من النّاس، فالجمل بمنزلة الرجل والنّاقة بمنزلة المرأة، والقعود بمنزلة الفتى والقلوص بمنزلة الجارية. وحكي عن بعض العرب: صرعتني بعيري أي ناقتي، وشربت من لبن بعيري، وإنّما يقال له بعير إذا أجذع، والجمع أبعرة، وأباعر وبعران، قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 72]، أراد بالبعير الحمار، لأنّ بعض العرب يقول للحمار بعير، وهذا شاذ، ولو أوصى ببعير تناول النّاقة على الأصح وهو كالخلاف في تناول الشاة الذكر وإن كان عكسه في الصورة، والوجه الثاني عدم التناول، وهو المحكي عن النص، والمعروف في كلام النّاس خلاف كلام العرب تنزيلاً للبعير منزلة الجمل.

قال الرافعي: وربّما أفهمك كلامهم توسطاً بين تنزيل النص على ما إذا عمّ العرف باستعمال البعير بمعنى الجمل والعمل بما تقتضيه اللغة إذا لم يعم لا جرم. قال الشيخ الإمام

السبكي: إنّ تصحيح خلاف النص في مثل هذه المسائل بعيد لأنّ الشافعي رضي الله عنه أعرف باللغة، فلا يخرج عنها إلاّ لعرف مطرد، فإنّ صح عرف بخلاف قوله اتبع، وإلاّ فالأولى اتباع قوله.

فرع: ولو وقع بعيران في بئر أحدهما فوق الآخر فطعن الأعلى ومات الأسفل بثقله حرم الأسفل لأنّ الطعنة لم تصبه، فإن أصابتهما حلا جميعاً، فإذا شك هل مات بالثقل أم بالطعنة النافذة، وقد علم أنّها أصابته قبل مفارقة الروح حل وإن شك هل أصابته قبل مفارقة الروح أم بعدها، قال البغوي في «**الفتاوى**»: يحتمل وجهين بناءً على أنّ العبد الغائب المنقطع خبره هل يجزىء إعتاقه عن الكفارة أم لا؟ ومن ذلك ما لو رمى غير مقدور عليه فصار مقدوراً عليه ثم أصاب غير مذبحه لم يحل، ولو رمى مقدوراً عليه، فصار غير مقدور عليه، فأصاب غير مذبحه لم يحل فإن أصاب مذبحه حلَّ. وفي «**سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه**» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا تزوّج أحدكم امرأة أو اشترى جارية أو غلاماً أو دابة فليأخذ بناصيتها وليقل: اللَّهمّ إنّي أسألك خيره وخير ما جبل عليه، وأعوذ بك من شرّه وشر ما جبل عليه، وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليدع بالبركة وليقل مثل ذلك**».

فائدة: قال ابن الأثير: خرج خلاد بن رافع وأخوه رضي الله عنهما إلى بدر على بعير أعجف، فلمّا انتهيا إلى قرب الروحاء برك البعير، قال: فقلنا اللَّهمّ لك علينا إن انتهينا إلى بدر أن ننحره فرآنا النبيّ ﷺ فقال: «**ما بالكما؟**» فأخبرناه، فنزل النبيّ ﷺ فتوضأ ثم بزق في وضوئه ثم أمرهما ففتحا فم البعير فصب في جوفه ثم على رأسه ثم على عنقه، ثم على غاربه، ثم على سنامه، ثم على عجزه ثم على ذنبه، ثم قال ﷺ: «**اللَّهمّ احمل رفاعة وخلاداً**»، فقمنا نرحل، فأدركنا أوّل الركب، فلمّا انتهينا إلى بدر برك فنحرناه وتصدقنا بلحمه.

فائدة أخرى: روى أبو القاسم الطبراني في كتاب «**الدعوات**» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: غزونا غزوة مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا في مجمع طرق المدينة فبصرنا بأعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله ﷺ ونحن حوله فقال: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، فردّ النبيّ ﷺ عليه السلام وقال: «**كيف أصبحت؟**» فجاء رجل كأنّه حرسي فقال: يا رسول الله هذا الأعرابي سرق بعيري هذا، فرغا البعير وحنّ ساعة فأنصت له النبيّ ﷺ يسمع رغاءه وحنينه، فلمّا هدأ البعير أقبل النبيّ ﷺ على الحرسي وقال: «**انصرف عنه فإنّ البعير يشهد عليك أنّك كاذب**»، فانصرف الحرسي وأقبل النبيّ ﷺ على الأعرابي، وقال: «**أي شيء قلت حين جئتني؟**» فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله قلت: اللَّهمّ صلّ على محمد حتّى لا تبقى صلاة، اللَّهمّ وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة، اللَّهمّ وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام، اللَّهمّ ارحم محمداً حتى لا تبقى رحمة، فقال ﷺ: «**إنّ الله تبارك وتعالى أبداها لي والبعير ينطق بقدرته وإنّ الملائكة قد سدوا أفق السماء**».

وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: جاؤوا برجل إلى النبيّ ﷺ فشهدوا عليه أنّه سرق ناقة لهم، فأمر النبيّ ﷺ أن يقطع فولّى الرجل وهو يقول: اللّهمّ صلّ على محمد حتى لا يبقى من صلواتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، وسلم على محمّد حتى لا يبقى من سلامك شيء، فتكلّم البعير وقال: يا محمد إنّه بريء من سرقتي، فقال النبيّ ﷺ: «**من يأتيني بالرجل؟**» فابتدر إليه سبعون من أهل بدر فجاؤوا به إلى النبيّ ﷺ فقال: «يا هذا ما قلت آنفاً؟» فأخبره بما قال. فقال النبيّ ﷺ: «**لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك**»، ثم قال ﷺ: «**لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر**»، اهـ. وسيأتي إن شاء الله تعالى في النّاقة حديث رواه الحاكم في هذا المعنى.

وروى ابن ماجه عن تميم الداري ﷺ قال: كنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل علينا بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ ورغا، فقال رسول الله ﷺ: «**أيها البعير اسكن فإن تك صادقاً فلك صدقك وإن تك كاذباً فعليك كذبك مع أنّ الله قد أمن عائذنا وليس بخائب لائذنا**»، فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ فقال ﷺ: «**هذا بعير قد همّ أهله بنحره وأكل لحمه، فهرب منهم واستغاث بنبيّكم**»، فبينما نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون، فلمّا نظر البعير إليهم عاد إلى هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام، فلم نلقه إلاّ بين يديك فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّه يشكو إلي ويبث الشكاية**»، فقالوا يا رسول الله ما يقول؟ قال: «يقول إنّه رُبّي في أمنكم أحوالاً وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلإ، فإذا كان الشتاء حملتم عليه إلى موضع الدفء، فلمّا كبر استفحلتموه، فرزقكم الله تعالى منه إبلاً سائمة، فلمّا أدركته هذه السنة الخصبة هممتم بنحره وأكل لحمه»، فقالوا: يا رسول الله قد والله كان ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه»، فقالوا: يا رسول الله فإنّا لا نبيعه ولا ننحره، فقال النبي ﷺ: «كذبتم، فقد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرّحمة منكم، فإن الله تعالى قد نزع الرّحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين»، فاشتراه عليه الصلاة والسلام منهم بمائة درهم، وقال: «أيّها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله تعالى»، قال: فرغا البعير على هامة رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «آمين»، ثم رغا الثانية، فقال: «آمين»، ثم رغا الثالثة، فقال: «آمين»، ثم رغا الرابعة، فبكى عليه الصلاة والسلام، فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال ﷺ: «**قال جزاك الله أيها النبيّ عن الإسلام والقرآن خيراً، فقلت آمين، ثم قال سكن الله رعب أمّتك إلى يوم القيامة كما سكنت رعبي، فقلت آمين، ثم قال: حقن الله دماء أمّتك من أعدائها كما حقنت دمي، فقلت آمين، ثم قال لا جعل الله بأسها بينها، فبكيت، فإنّ هذه الخصال سألتها ربّي فأعطانيها ومنعني هذه، وأخبرني جبريل عليه السلام عن الله عزّ وجل أن فناء أمّتي بالسيف جرى القلم بما هو كائن**».

تتمة: قال الطرطوشي في «**سراج الملوك**» وابن بلبان والمقدسي في «**شرح الأسماء الحسنى**» وغيرهم عن الفضل بن الرّبيع، قال: حج الرّشيد، فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب، فقلت: من هذا؟ قيل: أجب أمير المؤمنين، فخرجت مسرعاً، فوجدت الرّشيد، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليّ أتيتك، فقال: ويحك، قد حاك في نفسي أمر لا يخرجه إلاّ عالم، فانظر لي رجلاً أسأله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين ههنا سفيان بن عيينة، قال: فامض بنا إليه، فأتيناه، فقرعنا عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً، وقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليّ أتيتك، قال: جد لما جئنا له، فحادثه ساعة، ثم قال له: أعليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباس اقض دينه، ثم انصرفنا، فقال: ما أغنى عنّي صاحبك هذا شيئاً، فانظر لي رجلاً أسأله، قلت: ههنا عبد الرزّاق بن همام واعظ العراق، فقال: امض بنا إليه نسأله، فأتيناه، فقرعنا عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً وقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليّ أتيتك، قال: جد لما جئنا له، فحادثه ساعة، ثم قال له: أعليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباس، اقض دينه ثم انصرفنا.

فقال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، فانظر رجلاً أسأله، قال: فقلت ههنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من كتاب الله عزّ وجل ويرددها، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: مالي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحان الله أما تجب عليك طاعته؟ فقال: أو ليس قد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**ليس لمؤمن أن يذل نفسه**»، وفتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة مسرعاً فأطفأ السراج والتجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة، فجلعنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف الرّشيد إليه فقال: أواه ما ألينها من يد إنْ نجت غداً من عذاب الله، فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي، فقال: جد لما جئنا له، قال: وفيم جئت؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصاً من ذنب ما فعلوا، ولكان أشدّهم حباً لك أشدّهم هرباً منك.

ثم قال: إنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولّي الخلافة دعا سالم بن عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة، وقال لهم: إنّي ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها على الموت، وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أباً، وأوسطهم لك أخاً وأصغرهم لك ولداً، فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره

لنفسك، ثم متى شئت مت، وإنّي لأقول لك هذا وإنّي لأخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزلّ الأقدام، فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا؟ قال: فبكى هارون الرّشيد بكاءً شديداً حتى غشي عليه، فقلت: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا بن الرّبيع قتلته أنت وأصحابك، وأرفق أنا به؟

ثم أفاق فقال: زدني، فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه السهر، فكتب إليه عمر يقول: يا أخي اذكر سهر أهل النّار في النّار وخلود الآباد فيها، فإنّ ذلك يطرد بك إلى ربّك نائماً ويقظان، وإيّاك وأن تزل قدمك عن هذا السبيل، فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك، والسلام.

فلمّا قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال له عمر: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لاوليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله سبحانه وتعالى، فبكى هارون الرّشيد بكاءً شديداً، ثم قال: زدني يرحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ جدّك العباس رضي الله عنه عم النبيّ ﷺ جاءه فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة، فقال له النبيّ ﷺ: «**يا عباس يا عمّ النبيّ نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، إنّ الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل**»، فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: زدني يرحمك الله، فقال: يا حسن الوجه أنت الّذي يسألك الله عزّ وجل يوم القيامة عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النّار، فافعل وإيّاك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لرعيّتك، فقد قال النبيّ ﷺ: «**من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنّة**»، فبكى هارون بكاءً شديداً.

ثم قال: أعليك ديْن؟ قال: نعم، ديْن لربّي يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن لم يلهمني حجّتي، فقال هارون: إنّما أعني ديْن العباد، فقال: إنّ ربّي لم يأمرني بهذا، وإنّما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56-58]، فقال له الرّشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربّك، فقال فضيل: سبحان الله أنا أدلّك على النجاة، وتكافئني بمثل هذا؟ سلّمك الله، ثم صمت، فلم يكلّمنا، فخرجنا من عنده، فقال لي الرّشيد: إذا دللتني على رجل، فدلّني على مثل هذا، فإنّ هذا سيد المؤمنين اليوم.

ويروى أنّ امرأة من نسائه دخلت عليه، فقالت: يا هذا، قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال لانفرجنا به، فقال: إنّ مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلمّا كبر نحروه، وأكلوا لحمه، موتوا يا أهلي جوعاً، ولا تنحروا فضيلاً، فلمّا سمع الرّشيد ذلك قال: ادخل بنا، فعسى أن يقبل المال، قال: فدخلنا، فلمّا علم بنا الفضيل، خرج وجلس على السطح فوق التراب، فجاء هارون الرّشيد، فجلس إلى جنبه

فكلّمه، فلم يرد عليه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ أتيته، فانصرف يرحمك الله راشداً، فانصرفنا.

وقال القاضي ابن خلكان في ترجمة الفضيل رحمه الله: فبلغ ذلك سفيان الثوري، فجاء إليه وقال له: يا أبا علي قد أخطأت في ردك البدرة، ألا أخذتها وصرفتها في وجوه البر، فأخذ بلحيته وقال: يا أبا محمد أنت فقيه البلد والمنظور إليه، وتغلط مثل هذا الغلط، لو طابت لأولئك لطابت لي، اهـ. ولعلّ المذكور إنّما كان سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري، والله أعلم.

وقال الرّشيد لفضيل بن عياض: يرحمك الله ما أزهدك! فقال: أنت أزهد منّي لأنّي أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية، وقيل: إنّ الفضيل كانت له ابنة صغيرة، فوجع كفّها، فسألها يوماً، وقال: يا بنيّة، ما حال كفّك؟ فقالت: يا أبت بخير، والله لئن كان الله تعالى ابتلى منّي قليلاً فلقد عافى منّي كثيراً، ابتلى كفّي وعافى سائر بدني، فله الحمد على ذلك، فقال: يا بنيّة أريني كفّك، فأرته، فقبّله، فقالت: يا أبت أناشدك الله هل تحبّني؟ قال: اللّهمّ نعم، فقالت: سوأة لك من الله، والله ما ظننت أنّك تحب مع الله سواه، فصاح الفضيل، وقال: يا سيدي، صبيّة صغيرة تعاتبني في حبّي لغيرك، وعزّتك وجلالك لا أحببت معك سواك.

وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض حاله، فقال له: يا أخي، هل من مُدَبِّرٍ غير الله تعالى؟ فقال: لا، قال: فارض به مُدَبِّراً، وقال: إنّي لأعصي الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي، وقال: إذا أحب الله تعالى عبداً أكثر غمّه، وإذا أبغضه وسع عليه دنياه. وقال النووي في «**أذكاره**»: قال السيّد الجليل فضيل بن عياض رضي الله عنه: ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجل النّاس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما، وسئل الفضيل بن عياض رضي الله عنه عن المحبّة، فقال: هي أن تؤثّر الله عزّ وجل على ما سواه، وقال رضي الله عنه: لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلاّ للإمام لأنّ الله تعالى إذا أصلح الإمام أمن البلاد والعباد، وقال رضي الله عنه: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره. وقال رضي الله عنه: ربّما قال الرجل لا إله إلاّ الله أو سبحان الله فأخشى عليه النّار، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: يغتاب بين يديه أحد فيعجبه ذلك، فيقول: لا إله إلاّ الله أو سبحان الله، وليس هذا موضعهما، وإنّما هو موضع أن ينصح له في نفسه، ويقول: اتّق الله. وبلغه رضي الله عنه أنّ ابنه عليّاً قال: وددت أن أكون بمكان أرى فيه النّاس ولا يروني، فقال: ويح عليّ لو أتمّها فقال: بمكان لا أرى فيه النّاس ولا يروني، وكان رضي الله عنه قد جاور بمكّة، وأقام بها. وتوفّي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة.

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج إلى ملتقاه فلقيه

بذي طوى، فحل سفيان خطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ، والأوزاعي اسمه عبد الرّحْمن بن عمرو بن بحمد أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام، قيل: إنّه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت، وبُحْمد بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة.

وقال النووي في «**تهذيب الأسماء واللغات**» بضم الياء المثناة تحت وكسر الميم. والأوزاعي من تابع التابعين. قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت ربّ العزّة في المنام، فقال لي: يا عبد الرّحْمن أنت الّذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قلت: بفضلك يا رب، ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام، فقال عزّ وجل: وعلى السنّة أيضاً. وتوفّي رحمه الله في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنّه دخل حمّام بيروت، وكان لصاحب الحمّام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب، ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميّتاً قد وضع يده اليمنى تحت خدّه، وهو مستقبِل القِبلة، وقيل: إنّ امرأته فعلت ذلك به، ولم تكن عامدة لذلك، والأوزاع قرية بدمشق، ولم يكن أبو عمرو منهم، وإنّما نزل فيهم فنسب إليهم، وهو من سبي اليمن. وقال النووي: إنّه ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين، وهو مدفون في قبلة مسجد قرية حنتوس وهي على باب بيروت، وأهل القرية لا يعرفونه، بل يقولون: ههنا قبر رجل صالح ينزل عليه النّور ولا يعرفه إلاّ الخواص من النّاس، رحمة الله عليه.

الحكم: البعير تقدّم حكمه في الإبل، ويستحب عند ركوب الإبل أن يذكر اسم الله تعالى عليها. لما روى أحمد والطبراني عن أبي لاس الخزاعي قال: حملنا رسول الله ﷺ على إبل من الصدقة ضعاف للحج، فقلنا: يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه، فقال: «**ما من بعير إلاّ وفي ذروته شيطان، فإذا ركبتموها فاذكروا اسم الله عليها كما أمركم الله، ثم امتهنوها لأنفسكم فإنّما يحمل الله عزّ وجل**». وقد أشار البخاري في «**صحيحه**» في أبواب الزكاة إلى بعض هذا الحديث ولم يذكره بتمامه.

الأمثال: قالوا: أخف حلماً من بعير، وقالوا: هما كركبتي بعير، إشارة إلى الاستواء، كما قالوا: هما كفرسي رهان، والمثل لهرم بن قطبة الفزاري، وقد أطال فيه الميداني وغيره، وقالوا: كالحادي وليس له بعير يضرب للمتشبع بما لم يعط، وأحسن من هذا وأوجز قوله ﷺ: «**المتشبّع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»، وقال بعض المعمرين:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إذا نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعده ما قوّة أصيب بها ... أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

تذنيب: قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في «**الأذكياء**» وغيره، روي أنّ الحسن بن

هانىء الشهير بأبي نوّاس قال: استقبلتني امرأة في هودج على بعير ولم تكن تعرفني، فأسفرت عن وجهها، فإذا هو في غاية الحسن والجمال، فقالت: ما اسمك؟ فقلت: وجهك، فقالت: الحسن إذاً، ومما يشبه هذا الذكاء ما نقل أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه في الإيقاع به، وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له، فكتب له كتاباً فيه: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، يا موسى فلمّا فضه ووجد ذلك فعجب، وبقي يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه، وكانت له جارية واقفة على رأسه، فقالت له: يا سيّدي، إنّي أفهم معنى هذا، قال: وما هو، فقالت: إنّه أراد قوله تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: 20]، وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون، فثنى العزم عن ذلك، واعتذر للمأمون في عدم الحضور، فكان ذلك سبب سلامته.

وأحسن من هذا ما ذكره ابن خلكان، فقال: إنّ بعض الملوك غضب على بعض عمّاله فأمر وزيره أن يكتب إليه كتاباً يشخصه به، وكان للوزير بالعامل عناية فكتب إليه كتاباً، وكتب في آخره إن شاء الله تعالى، وجعل في صدر النون شدّة، فتعجّب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكّلوا كتبهم ففكّر في ذلك فظهر له أنّه أراد: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: 20]، فكشط الشدّة وجعل مكانها ألفاً، وختم الكتاب وأعاده للوزير، فلمّا وقف عليه الوزير سرّ بذلك، وفهم أنّه أراد: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَآ﴾ [المائدة: 24]، والله تعالى أعلم.

البغاث: بفتح الباء الموحّدة وكسرها وضمّها، ثلاث لغات وبالغين المعجمة، طائر أغبر دون الرخمة، بطيء الطيران، وهو من شرار الطير، ومما لا يصيد منها، وقال يونس: من جعل البغاث واحداً فجمعه بغثان مثل: غزال وغزلان، ومن قال للذكر والأنثى بغاثة، فالجمع بغاث مثل نعامة ونعام، وبغاث الطير شرارها، وما لا يصيد منها، قال الشيخ أبو إسحاق في «**المهذب**» في باب الحجر: لا يسافر الولي بمال المحجور عليه، لما روي أنّ المسافر وماله لعلي، قلت: أي هلاك، ومنه قول العباس بن مرداس السلمي:

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

وقوله: مقلات بكسر الميم، والمقلات من النساء الّتي لا يعيش لها ولد، ومن النوق من تلد ولداً واحداً ولا تلد بعده، وقيل المقلات الّتي تعمل وكرها في المهالك، والنزور: بفتح النون: القليلة الأولاد، والنزر القليل.

الحكم: تحريم الأكل لخبثه.

الأمثال: قال العرب: البغاث بأرضنا يستنسر، أي: من جاورنا عز بنا؛ وقيل معناه أنّ الضعيف يستضعفنا ويظهر قوّته علينا.

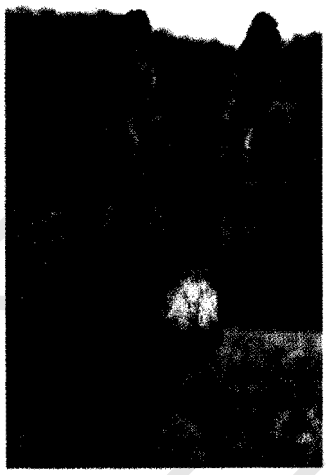

البغل: معرّف وكنيته أبو الأشحج وأبو الحرون وأبو الصقر وأبو قضاعة وأبو قموص وأبو كعب وأبو مختار وأبو معلون، ويقال له ابن ناهق وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل، وكذلك شحيجه أي صوته، مولد من صهيل الفرس ونهيق الحمار، وهو عقيم لا يولد له، لكن في «**تاريخ ابن البطريق**» في حوادث سنة أربع وأربعين وأربعمائة أنّ بغلة بنابلس ولدت في بطن حجرة سوداء بغلاً أبيض، قال: وهذا أعجب ما سمع، اهـ. وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة، وإذا كان الذكر حماراً يكون شديد الشبه بالفرس، وإذا كان الذكر فرساً يكون شديد الشبه بالحمار، ومن العجب أنّ كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار، وكذلك أخلاقه ليس له ذكاء الفرس، ولا بلادة الحمار، ويقال إنّ أوّل من أنتجها قارون، وله صبر الحمار وقوّة الفرس، ويوصف برداءة الأخلاق والتلوّن لأجل التركيب، وينشد في ذلك قوله:

خلق جديد كل يو م مثل أخلاق البغال

لكنه مع ذلك يوصف بالهداية في كل طريق يسلكه مرّة واحدة، وهو مع ذلك مركب الملوك في أسفارها، وقعيدة الصعاليك في قضاء أوطارها مع احتماله للأثقال وصبره على طول الإيغال، وفي ذلك يقال:

مركب قاض وإمام عدل وعالم وسيد وكهل
يصلح للرحل وغير الرحل

وفي «**الكامل**» لأبي العباس المبرد قال العباس بن الفرج: نظر إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على بغلة قد شمط وجهها هرماً، فقيل له: أتركب هذه وأنت على أكرم باخرة بمصر؟ فقال: إنّه لا ملل عندي لدابتي ما حملت رجلي، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري، إنّ الملل من كواذب الأخلاق، وفيه أيضاً أنّ رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقيل لي: هذا عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فأتيته وقد امتلأ قلبي له بغضاً، فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال لي: بل أنا ابن ابنه، فقلت: بك وبأبيك أسب علياً، فلما انقضى كلامي، قال: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: فمل بنا إلى الدّار، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك، أو إلى حاجة عاوناك على قضائها، فانصرفت من عنده وما على وجه الأرض أحب إليّ منه، اهـ،

قلت: وكان علي بن الحسين ﷺ يلقّب بزين العابدين، وأمّه سلامة، وكان له أخ أكبر منه يسمّى عليّاً أيضاً، قتل مع أبيه بكربلاء. روى الحديث عن أبيه وعن عمّه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبو هريرة وصفية وعائشة وأمّ سلمة أمّهات المؤمنين ﷺ ن. قال ابن خلكان: كانت أمّه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، وذكر الزمخشري في «**ربيع الأبرار**» أنّ يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ﷺ فحصلت واحدة منهن لعبد الله بن عمر ﷺ فأولدها سالماً والأخرى لمحمد بن أبي بكر ﷺ فأولدها قاسماً، والأخرى للحسين بن علي ﷺ، فأولدها علياً زين العابدين ﷺ، فكلّهم بنو خالة، وكان زين العابدين مع أبيه بكربلاء، فاستبقي لصغر سنّه لأنّهم قتلوا كل من أنبت كما يفعل بالكفار قاتل الله فاعل ذلك، وأخزاه ولعنه، وكان قد همّ عبيد الله بن زياد بقتله، ثم صرفه الله تعالى عنه وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً، فحماه الله منه، ثم إنّ يزيد بن معاوية صار يكرمه ويعظّمه ويجلسه ولا يأكل إلاّ وهو معه، ثم بعثه إلى المدينة، فكان بها محترماً معظّماً. قال ابن عساكر: ومسجده بدمشق معروف، وهو الّذي يقال له مشهد علي بجامع دمشق. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، وقال محمد بن سعد: كان زين العابدين ثقة مأموناً كثير الحديث عن رسول الله ﷺ، عالماً، ولم يكن في أهل البيت مثله، وقال الأصمعي: لم يكن للحسين ﷺ عقب إلاّ من ابنه زين العابدين، ولم يكن لزين العابدين نسل إلاّ من ابنة عمّه الحسن ﷺ، فجميع الحسنيين من نسله، وكان إذا توضّأ يصفرّ لونه، فإذا قام إلى الصلاة أرعد من الفرق أي الخوف، فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون بين يدي من أقوم، ولمن أناجي؟ ويروى أنّه احترق البيت الّذي هو فيه وهو قائم يصلّي، فلمّا انصرف قيل له: ما بالك لم تنصرف حين وقعت النّار؟ فقال: إنّي اشتغلت عن هذه النّار بالنّار الأخرى، ويروى أنّه لمّا حجّ وأراد أن يلبّي أرعد واصفرّ وخر مغشياً عليه، فلمّا أفاق سئل عن ذلك، فقال: إنّي لأخشى أنّ أقول لبّيك اللّهمّ لبّيك، فيقول لي لا لبّيك ولا سعديك، فشجعوه، وقالوا: لا بد من التلبية، فلمّا لبّى غشي عليه حتى سقط عن راحلته، وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان كثير الصدقات، وكان أكثر صدقته باللّيل، وكان يقول: صدقة اللّيل تطفىء غضب الرّب، وكان كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضّت عيناه على يوسف، ولم يتحقّق موته، فكيف لا أبكي وقد رأيت بضعة عشر رجلاً يذبحون من أهلي في غداة واحدة، وكان إذا خرج من منزله قال: اللّهمّ إنّي أتصدّق اليوم أو أهب عرضي اليوم لمن يغتابني. ومات لرجل ولد مسرف على نفسه، فجزع عليه فقال له علي بن الحسين: إنّ من وراء ولدك خلالاً ثلاثة شهادة أن لا إله إلاّ الله، وشفاعة رسول الله ورحمة الله. واختلف أهل التاريخ في السنة الّتي توفّي فيها زين العابدين والمشهور عند الجمهور أنّه توفّي سنة أربع وتسعين في أوّلها. وقال ابن الفلاس: وفيها مات سعيد بن

المسيب وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرّحمٰن، وقال بعضهم: توفّي في سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين، وأغرب المدائني في قوله إنّه توفّي سنة مائة؛ وقيل توفّي في سنة تسع وتسعين، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة، ودفن في قبر عمّه الحسن ﷺ وعن آبائهم الكرام وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

وفي «**وفيات الأعيان**» في ترجمة جلال الدولة ملك شاه أنّ المقتدي بأمر الله جهّز الشيخ أبا إسحاق الشيرازي الفيروزأبادي صاحب «**التنبيه والمهذب**» وغيرهما إلى نيسابور سفيراً له في خطبة ابنة الملك جلال الدّولة، فنجز الشغل وناظر إمام الحرمين هناك، فلمّا أراد الانصراف من نيسابور، خرج إمام الحرمين إلى وداعه وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق بغلته، وظهر له في خراسان منزلة عظيمة، وكانوا يأخذون التراب الّذي وطئته بغلته فيتبرّكون به، وكان رحمه الله إماماً عالماً، عاملاً ورعاً، زاهداً، عابداً. توفّي في سنة ستّ وسبعين وأربعمائة، وتوفّي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره بالجامع، وكانت تلامذته قريباً من أربعمائة نفر، فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً، وفي «**تاريخ بغداد ووفيات الأعيان**» أنّ أبا حنيفة كان له جار إسكافي يعمل نهاره، فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشّى ثم شرب، فإذا دب الشراب فيه أنشد يغني ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النّوم، وأبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وكان أبو حنيفة يصلّي الليل كلّه، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل له: أخذه العسس منذ ليال، فصلّى أبو حنيفة الفجر من غده، ثم ركب بغلته، وأتى دار الأمير فاستأذن عليه، فقال: ائذنوا له، وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك، فوسع له الأمير من مجلسه، وقال له: ما حاجتك فشفع في جاره، فقال الأمير: أطلقوه، وكل من أخذ في تلك اللّيلة إلى يومنا هذا فأطلقوهم أيضاً فذهبوا فركب أبو حنيفة بغلته، وخرج والإسكافي معه يمشي وراءه، فقال له أبو حنيفة: يا فتى، هل أضعناك؟ فقال: بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيراً عن حرمة الجوار، ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل، واسم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، وكان عالماً، عاملاً. قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجّته، وكان الشافعي يقول: النّاس عيال على أبي حنيفة في الفقه، وعلى زهير بن أبي سلمة في الشعر، وعلى محمد بن إسحاق في **المغازي**، وعلى الكسائي في النحو، وعلى مقاتل بن سليمان في التفسير، وكان أبو حنيفة إماماً في القياس، وداوم على صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليله يقرأ القرآن في ركعة واحدة، وكان يبكي في اللّيل حتى يرحمه جيرانه، وختم القرآن في الموضع الّذي توفّي فيه سبعة آلاف مرّة، ولم يفطر منذ ثلاثين سنة، ولم يكن

يعاب بشيء سوى قلّة العربية. حكي أنّ أبا عمرو بن العلاء سأله عن القتل بالمثقل: هل يوجب القود قال: لا على قاعدة مذهبه خلافاً للشافعي، فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق، فقال: ولو قتله بأبا قبيس، يعني الجبل المطل على مكّة، وقد اعتذر عن أبي حنيفة بأنّه قال ذلك على لغة من يعرب الأسماء الستّة بالألف في الأحوال الثلاثة، وأنشدوا على ذلك:

إنّ أبـــاهـــا وأبـــا أبـــاهـــا قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين، وأبو حنيفة من أهل الكوفة. وتوفّي أبو حنيفة في السجن ببغداد سنة خمسين ومائة؛ وقيل غير ذلك؛ وقيل لم يمت في السجن؛ وقيل مات في اليوم الّذي ولد فيه الشافعي؛ وقيل في العام لا في اليوم كما تقدّم، وقال النووي في «**تهذيب الأسماء واللغات**»: توفّي في سنة إحدى؛ وقيل ثلاث وخمسين ومائة، والله أعلم.

قلت: البيت المذكور في حكاية الإسكافي المتقدمة للعرجي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ﷺ وقد استشهد به النضر بن شميل على المأمون. قال ابن خلكان: دخل النضر بن شميل على المأمون ليلة، فتفاوضا الحديث، فروى المأمون عن هشيم بسنده إلى ابن عباس ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان فيه سَداد من عوز**»، بفتح السين، فقال النضر: يا أمير المؤمنين صدق هشيم، حدّثنا فلان عن فلان إلى علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها، فهو سِداد من عوز**» بكسر السين، قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً، وقال: كيف قلت سِداد؟ قال: قلت لأنّ السداد ههنا لحن، فقال المأمون: أتلحنني؟ قلت: إنّما لحن هشيم فتبع أمير المؤمنين لفظه، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السَداد بالفتح، القصد في الدين والسبيل، والسِّداد بالكسر البلغة، وكل ما سدد به شيئاً فهو سِداد، فقال المأمون: أوَتعرف العرب ذلك؟ قال: قلت: نعم، هذا العرجي يقول:

أضـاعـونـي وأي فـتـى أضـاعـوا لـيـوم كـريهـة وسـداد ثـغـر

فأخذ المأمون القرطاس وكتب فيه، ثم قال لخادمه: ابلغ معه إلى الفضل بن سهل. فلمّا قرأ الفضل الرقعة قال: يا نضر قد أمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم، فما كان السبب، فأخبرته، فأمر لي بثلاثين ألف درهم أخرى، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد استفيد مني. وتوفّي النضر بن شميل في سنة أربع ومائتين بمرو رحمه الله تعالى.

وفي «**تاريخ بغداد**» عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة واسمه يعقوب أنّه قال: أويت ذات ليلة إلى فراشي وإذا بالباب يدق دقّاً عنيفاً، فخرجت، فإذا هرثمة بن أعين، فقال: أجب أمير المؤمنين، فركبت بغلتي ومضيت خائفاً، إلى أن وصلت دار أمير المؤمنين، فإذا أنا

بمسرور، فسألته: من عند أمير المؤمنين؟ فقال: عيسى بن جعفر، فدخلت، فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلّمت عليه وجلست، فقال الرّشيد: أظن أنّنا روعناك، فقلت: إي والله ومن خلفي كذلك، فسكت ساعة، ثم قال: أتدري يا يعقوب لم دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا أن عنده جارية وقد سألته أن يهبها لي فأبى ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه، قال: فالتفت إلى عيسى وقلت له: ما بلغ من قدر الجارية حتى إنّك تمنعها من أمير المؤمنين، وتنزل نفسك هذه المنزلة من أجلها، ثم هي ذاهبة من يدك على كل حال، فقال: عجّلت علي بالتوبيخ من قبل أن تعرف ما عندي، قلت: ما هو؟ قال: إنّ علي يميناً بالطلاق والعتاق، وصدقة ما أملكه، لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إليّ الرشيد وقال: هل لك في هذه من مخرج؟ قلت: نعم، قال: وما هو؟ قلت: يهبك نصفها، ويبيعك نصفها، فيكون لم يهبها ولم يبعها، قال عيسى: أوَيجوز ذلك؟ قلت: نعم، قال: فاشهد أنّي وهبته نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار، فقال الرّشيد: قد قبلت الهبة، واشتريت النصف بمائة ألف دينار، ثم قال: عليَّ بالجارية والمال، فأتي بالجارية والمال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها، فقال الرّشيد: يا يعقوب بقيت واحدة، فقلت: وما هي، قال: إنّها مملوكة ولا بد أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه أظن أن نفسي تخرج، فقلت: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوّجها، فإن الحرّة لا تستبرأ، قال: فإنّي قد أعتقتها، فمن يزوّجنيها، قلت له: أنا، فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى وزوّجته بها على عشرين ألف دينار، ثم قال: علي بالمال، فجيء به، فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب انصرف، وقال لمسرور: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً من الثياب، فحمل ذلك إليه، اهـ. وكان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيّام العرب، فمضى يوماً ليسمع المغازي وأخل بمجلس أبي حنيفة أيّاماً، فلمّا أتاه قال له: يا أبا يوسف، من كان صاحب راية جالوت، فقال له أبو يوسف: إنّك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس النّاس أيّما كان أوّل وقعة بدر أو أُحد؟ فإنّك لا تدري ذلك، وهي أهون مسائل التاريخ، فأمسك عنه، قيل كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ولا يتكلّم، فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلّم؟ فقال: بلى، متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف اللّيل، كيف يصنع؟ فضحك أبو يوسف وقال له: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك، وأنشد:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الّذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وإنّما صحيفة لب المرء أن يتكلّما

وروي أنّ رجلاً كان يجلس إلى بعض العلماء ولا يتكلّم، فقيل له يوماً: ألا تتكلّم؟ قال: نعم، أخبرني لأي شيء يستحب صيام الأيام البيض من كل شهر؟ فقال: لا أدري، فقال الرجل: لكنّي أدري، قال: وما هو؟ قال: لأنّ القمر لا ينكسف إلاّ فيهنّ، فأحبّ الله تعالى أن

لا يحدث في السماء آية إلاّ حدث في الأرض مثلها وهذا أحسن ما قيل فيه. وذكر ابن خلكان أنّ رجلاً كان يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلّم؟ فقال: أصمت فأسلم، وأسمع فأعلم، إنّ حظ المرء في أذنه له وفي لسانه لغيره، وتكلّم شاب يوماً عند الشعبي بكلام، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا، فقال الشاب: أكل العلم سمعت؟ قال: لا، قال: فشطره؟ قال: نعم، قال: فاجعل هذا في الشطر الّذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي. وأبو يوسف هو أوّل من دعي بقاضي القضاة وأوّل من غيّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة الّتي هم عليها إلى هذا الزمان، وكان ملبوس النّاس قبل ذلك شيئاً واحداً ولا يتميّز أحد عن أحد بلباسه.

وحكي أنّ عبد الرّحمٰن بن مسهر كان قاضياً على بليدة بين بغداد وواسط يقال لها المبارك، فبلغه خروج الرّشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحراقة، فقال عبد الرّحمٰن لأهل المبارك: أثنوا علي عندهما، فأبوا عليه، فلبس ثيابه وتلقاهما، وقال: نعم القاضي قاضينا، ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول، فالتفت الرّشيد إلى أبي يوسف، وقال: يا يعقوب قاض في موضع لا يثني عليه إلاّ رجل واحد بئس القاضي، فقال أبو يوسف: والعجب يا أمير المؤمنين أنّه هو القاضي، وهو يثني على نفسه، فضحك الرّشيد، وقال: هذا أظرف النّاس هذا لا يعزل أبداً. توفّي أبو يوسف في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقيل غير ذلك، وأنشد أبو السعادات المبارك بن الأثير لصاحب الموصل، وقد زلت به بغلته:

إن زلت البغلة من تحته فإن في زلتها عذراً
حملها من علمه شاهقاً ومن ندى راحته بحرا

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «**تاريخ دمشق**» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ البغال كانت تتناسل، وكانت من أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرّحمٰن عليه الصلاة والسلام، فدعا عليها فقطع الله نسلها.

فائدة غريبة: روي عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ¯ ل: كان عندنا طحان رافضي له بغلان سمّي أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحدهما فقتله فأخبر جدي أبو حنيفة بذلك، فقال: انظروا الّذي رمحه فإنّه الّذي سمّاه عمر، فنظروا فوجدوه كذلك. وفي «**كامل**» ابن عدي في ترجمة خالد بن يزيد العمري المكّي عن سفيان بن أبان عن أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ ركب بغلة، فحادت به فحبسها وأمر رجلاً أن يقرأ عليها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فسكنت. وسيأتي إن شاء الله تعالى هذا في الدابة، وفيه عنه أيضاً أنّه روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «**من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمداً فهو من الجفاء، وإذا سميتموه محمداً فلا تسبّوه ولا تعيبوه ولا تضربوه وشرّفوه وكرّموه وعظّموه وبرّوا قسمه**».

فائدة: روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن زرير الغافقي المصري عن علي ﷺ قال: أهديت لرسول الله ﷺ بغلة، فركبها، فقالوا: لو حملنا الحمير على الخيل لكان لنا مثل هذه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّما يفعل ذلك الّذين لا يعلمون**»، قال ابن حبان: معناه الّذين لا يعلمون النهي عنه، وقال الخطابي: يشبه أن يكون المعنى في ذلك ـ والله أعلم ـ أن الحمير إذا حملت على الخيل تعطّلت منافع الخيل، وقلّ عددها، وانقطع نماؤها، والخيل يحتاج إليها للركوب والعدو والركض والطلب وعليها يجاهد العدوّ وبها تحرز الغنائم ولحمها مأكول، ويسهم للفرس كما يسهم للرجل، وليس للبغل شيء من هذه الفضائل، فأحبّ النبيّ ﷺ أن ينمو عدد الخيل ويكثر نسلها لما فيها من النفع والصلاح، فإذا كانت الفحول خيلاً والأمهات حميراً فيحتمل أن لا يكون داخلاً في النهي إلاّ أن يتأول متأوّل أنّ المراد بالحديث صيانة الخيل عن مزاوجة الحمير وكراهة اختلاط مائها بمائها لئلا يكون منها الحيوان المركّب من نوعين مختلفين، فإنّ أكثر الحيوانات المركّبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعاً من أصولها الّتي تتولّد منها، وأشدّ شراسة كالسمع، والعسبار، ونحوهما، ثم إنّ البغل حيوان عقيم ليس له نسل ولا نماء ولا يذكى ولا يزكى، ثم قال: ولا أرى لهذا الرأي طائلاً فإنّ الله تعالى قال: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: 8]، فذكر البغال وامتن علينا بها كامتنانه بالخيل والحمير وأفرد ذكرها بالاسم الخاص الموضوع لها، ونبّه على ما فيها من الأرب والمنفعة والمكروه من الأشياء مذموم، ولا يستحق المدح ولا يقع الامتنان به، وقد استعمل ﷺ البغل واقتناه وركبه حضراً وسفراً، ولو كان مكروهاً لم يقتنه ولم يستعمله، انتهى.

وروى مسلم عن يزيد بن ثابت ﷺ قال: بينما النبيّ ﷺ في حائط لبني النجّار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت أن تلقيه، وإذا أقبر ستّة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**»، فقال رجل: أنا، فقال: «**متى مات هؤلاء؟**»، قال: ماتوا على الإشراك، فقال ﷺ: «**إنّ هذه الأمّة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عزّ وجل أن يسمعكم من عذاب القبر الّذي أسمع منه**»، ثم أقبل النبيّ ﷺ علينا بوجهه الكريم فقال: «**تعوّذوا بالله من عذاب القبر**»، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: «**تعوّذوا بالله من عذاب النّار**»، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النّار، فقال: «**تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**»، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقال: «تعوّذوا بالله من فتنة الدجّال»، فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجّال.

فائدة أخرى: كانت بغلة رسول الله ﷺ الدلدل الّتي يركبها في الأسفار أنثى، كما أجاب به ابن الصلاح وغيره، وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أضراسها، وكان يحش لها الشعير إلى أن ماتت بالبقيع في زمن معاوية ﷺ، وكانت شهباء. ونقل الحافظ قطب الدين في «**شرح السيرة من شرح الجامع الكبير**» أنّه لو حلف لا يركب بغلاً فركب ذكراً أو أنثى يحنث لأنّه اسم

جنس، وكذلك البغلة، والهاء فيها للإفراد، وهاء الإفراد تقع على الذكر والأنثى كالجرادة والتمرة، وكذا لو حلف لا يركب بغلة فركب ذكراً أو أنثى، حنث أيضاً، ثم قال: وأجمع أهل الحديث على أنّ بغلة رسول الله ﷺ كانت ذكراً لا أنثى، ثم عد للنبيّ ﷺ خمس بغال. وقال السهيلي، ومما ذكر في غزوة حنين أنّ النبيّ ﷺ أخذ وهو على بغلته حفنة من البطحاء، فرمى بها في وجوه الكفار، وقال: «**شاهت الوجوه**» فانهزموا، وكانت البغلة ضربت ببطنها الأرض حتى أخذ الحفنة، ثم قامت، قال: وتلك البغلة هي الّتي تسمّى البيضاء، وهي الّتي أهداها له فروة بن نعامة، وفي «**معجم الطبراني الأوسط**» من حديث أنس رضي الله عنه قال: لمّا انهزم المسلمون يوم حنين ورسول الله ﷺ على بغلته الشهباء الّتي يقال لها الدلدل، فقال لها رسول الله ﷺ: «**دلدل أسدي**»، فألصقت بطنها بالأرض حتى أخذ النبيّ ﷺ حفنة من تراب، فرمى بها وجوههم وقال: «**حم لا ينصرون**» قال: فانهزم القوم وما رميناهم بسهم ولا طعنّاهم برمح ولا ضربناهم بسيف، وفيه من حديث شيبة بن عثمان أنّ النبيّ ﷺ قال يوم حنين لعمّه العباس: «**ناولني من البطحاء**»، فأفقه الله تعالى البغلة كلامه، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض، فتناول رسول الله ﷺ من الحصباء، فنفخ في وجوههم، وقال: «**شاهت الوجوه حم لا ينصرون**».

تتمة: روى الطبراني وأبو نعيم من طرق صحيحة عن خزيمة بن أوس قال: هاجرت إلى النبيّ ﷺ فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك، فأسلمت، فسمعته يقول: «**هذه الحيرة قد رفعت لي وإنّكم ستفتحونها، وهذه الشيماء بنت نفيل الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود**»، فقلت: يا رسول الله نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهي لي، قال عليه الصلاة والسلام: «**هي لك**»، فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة، فلمّا دخلناها كان أوّل من تلقانا الشيماء بنت نفيل، كما قال رسول الله ﷺ على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها إليّ رسول الله ﷺ، فطلب منّي خالد عليها البيّنة، فأتيته بها، فسلمها إليّ ونزل إلينا أخوها عبد المسيح، فقال لي: أتبيعنيها؟ فقلت: نعم، فقال: احتكم ما شئت، فقلت: والله لا أنقصها عن ألف درهم، فدفع لي ألف درهم، فقيل لي: لو قلت مائة ألف درهم لدفعها إليك، فقلت: لا أحسب مالاً أكثر من ألف درهم. قال الطبراني: وبلغني أنّ الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

الحكم: يحرم أكل المتولّد منها بين الحمار الأهلي والفرس لما روى جابر قال: ذبحنا يوم حنين البغال والحمير والخيل، فنهانا رسول الله ﷺ عن الحمير والبغال ولم ينهنا عن الخيل، ولأنّه متولّد بين ما يحل وما يحرم، فغلب جانب التحريم، فإن تولد بين حمار وحشي وفرس حلّ، وأمّا الحديث الّذي رواه البزار بإسناد صحيح عن أبي واقد أنّ قوماً مات لهم بغل ولم يكن لهم شيء غيره، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فرخص لهم فيه، فهذا محمول على أنّهم كانوا مضطرين يحل لهم أكل الميتة.

فرع: وإذا أوصى لزيد ببغلة لا تتناول الذكر على الأصح، كما لا تتناول البقرة الثور، والثاني تتناوله، الهاء للوحدة كتمرة وزبيبة.

الأمثال: قيل للبغل من أبوك؟ قال: الفرس خالي، يضرب للمخلط في أمره، وقالوا: أعقر من بغل وأعقم من بغلة، قالوا: أعيب من بغلة أبي دلامة واسمه زند بن الجون، كوفي أسود، كان مولى لبني أسد، وكان صاحب نوادر، فمنها أنّه مرض له ولد فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جعلاً معلوماً، فلما برىء ولده قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك إيّاه، ولكن ادع على فلان اليهودي بمقدار الجعل، وكان ذا مال كثير وأنا وولدي نشهد لك بذلك، فمضى الطبيب إلى محمد بن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى وحمل إليه اليهودي وادّعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر، فقيل: ألك بيّنة؟ قال: نعم، قال: أحضرها، فدخل أبو دلامة وهو ينشد والقاضي يسمع شعره:

إنِ النّاس غطّوني تغطيت عنهم ... وإن بحثوا عنّي ففيهم مباحث
وإن نبشوا بئري نبشت بئارهم ... ليعلم قوم كيف تلك النبائث

فلمّا شهدا عند القاضي قال لهما: شهادتكما مقبولة وكلامكما مسموع، ثم غرم المبلغ من عنده وجمع بين المصلحتين، ومنها أنّه خاصم رجلاً إلى عافية بن يزيد القاضي فقال:

لقد خاصمتني غواة الرجال ... وخاصمتهم سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة ... وما خيب الله لي قافية
فمن كنت من جوره خائفاً ... فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية: لأشكونّك لأمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنّك هجوتني، قال أبو دلامة: إن شكوتني ليعزلنك، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك لا تعرف الهجاء من المدح، ومنها ما قاله الإمام أبو الفرج بن الجوزي. روي أنّ أبا دلامة دخل على المهدي فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي كلباً، فغضب المهدي، وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول لي هب لي كلباً؟ فقال: يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك؟ قال: بل لك، قال: فإنّي أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين هبني خرجت إلى الصيد، أفأعدو على رجليَّ؟ فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين هبني صدت صيداً فأتيت به المنزل، فمن يطبخه لي؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين قد صار في عنقي جماعة من العيال، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء؟ قال: فإنّ أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً، فقال: أمّا العامر فقد عرفته، فما الغامر؟ قال: الخراب، الّذي لا شيء فيه، فقال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب

غامرة بالبدو ولكنّي أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً، قال: من أين؟ قال: من بيت المال، فقال المهدي: حوّلوا المال وأعطوه جريباً، فقال: يا أمير المؤمنين إذا حوّلوا منه المال صار غامراً؟ فضحك المهدي منه وأرضاه، قلت: وقد أذكرتني هذه الحكاية ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في «الأذكياء» بسنده عن محمد بن إسحاق السراج، قال: أنبأنا داود بن رشيد قال: قلت للهيثم بن عدي بأيّ شيء استحق سعيد بن عبد الرّحْمن أن ولاّه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبره لظريف فإن أحببت شرحته لك، قلت: قد والله أحببت ذلك، قال: اعلم أنّه وافى الرّبيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي فقال: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال له الرّبيع: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكرني له، فقال له الرّبيع: يا هذا إنّ القوم لا يصدّقون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة غير هذه تكون أدر عليك من هذه، فقال: إن لم تخبره بمكاني وإلا سألت من يوصلني إليه وأخبره أنّي سألتك الإذن عليه فلم تفعل، فدخل الرّبيع على المهدي وقال له: يا أمير المؤمنين إنّكم قد أطمعتم النّاس في أنفسكم، وقد احتالوا لكم بكل ضرب، فقال له المهدي: هكذا صنع الملوك، فماذا؟ قال: رجل بالباب يزعم أنّه رأى لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحبّ أن يقصها على أمير المؤمنين، فقال له المهدي: ويحك يا ربيع، إنّي والله قد أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي، فكيف إذا ادّعاها لي من لعلّه افتعلها، قال: قد قلت له والله مثل هذا، فلم يقبل، قال: فهات الرجل، فأدخل عليه سعيد بن عبد الرّحْمن وكان له رواء وجمال وثروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك ما رأيت، قال: يا أمير المؤمنين رأيت كأن آتياً أتاني في منامي فقال لي: أخبر أمير المؤمنين أنّه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك أن يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب ياقوتاً فيعده فيجده ثلاثين ياقوتة، كأنّها قد وهبت له، فقال له المهدي: ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر كما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أنّ الرؤيا ربما صدقت، وربّما اختلفت، فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أنّي كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفر اليدين؟ فقال له المهدي: فكيف نصنع؟ فقال: تعجل لي يا أمير المؤمنين ما أحب وأحلف لك بالطلاق أنّي صادق في رؤياي، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل، فمد عينيه فرأى خادماً واقفاً على رأس المهدي حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفلني، فقال له المهدي: أتتكفّل به؟ فاحمر وجهه، وخجل، وقال: نعم أتكفّله، وانصرف سعيد بالمال. فلمّا كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً بحرف.

وأصبح سعيد فوافى الباب قائماً واستأذن، فأُذن له، فلمّا وقعت عين المهدي عليه، قال له: أين مصداق ما قلت؟ فقال له سعيد: أوَما رأى أمير المؤمنين شيئاً؟ فتلجلج في جوابه،

فقال له سعيد: امرأته طالق إن لم تكن رأيت شيئاً، فقال له المهدي: ويحك، ما أجرأك على الحلف بالطلاق، قال: لأنّي أحلف على صدق، فقال المهدي: قد والله رأيت ذلك بيّناً، فقال سعيد: الله أكبر انجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني، فقال له: حباً وكرامة، ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه، وقال غيره: ثلاثة بغال شهب، فأخذ ذلك، وانصرف، فلحقه الخادم الّذي كان تكفّل به وقال له: سألتك بالله الّذي لا إله إلاّ هو هل كان لتلك الرؤيا الّتي ذكرت حقيقة، فقال له سعيد: لا والله، فقال له: وكيف ذلك وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له، فقال: هذه من المخاريق الكبار الّتي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أنّي لمّا ألقيت إليه هذا الكلام، خطر بباله وحدّث به نفسه واشرأبّ به قلبه واشتغل به فكره، فساعة ما نام خيّل له ما كان في قلبه ممّا شغل به فكره فرآه في منامه، فقال له الخادم: فقد حلفت بالطلاق، قال: طلقت واحدة وبقيت معي علي اثنتين، فأزيد في المهر عشرة دراهم وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب، فبهت الخادم في وجهه وتعجّب من أمره، فقال له سعيد: قد والله صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك فاستر ذلك عليّ، ففعل، ثم إنّ المهدي طلبه لمنادمته، فجعل ينادمه وحظي عنده وقلّده القضاء على عسكره، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي، ثم قال ابن الجوزي: هكذا رويت لنا هذه الحكاية، وإنّي لمرتاب من صحّتها وما أبعد هذا أن يحكى عن قاض من القضاة، قلت: وقد سئل الإمام أحمد عن سعيد بن عبد الرّحمٰن هذا، فقال: ليس به بأس، وقال يحيى بن معين: هو ثقة، وإنّما اتهم بهذا الهيثم بن عدي، فقد قال يحيى بن معين: الهيثم ليس بثقة، كان يكذب، وقال علي بن المديني: لا أرضاه في شيء، وقال أبو داود العجلي: الهيثم كذّاب، وقال إبراهيم بن يعقوب الجرجاني: الهيثم ساقط، قد كشف قناعه، وقال أبو زرعة: ليس بشيء.

وفي كتاب «**الفرج بعد الشدّة**» عن رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها، فلمّا صرت في بعض الطريق وقد سرت عدّة فراسخ لحقني التعب، وكان معي بغلة عليها خرجي وقماشي وكان قد قرب الماء، فإذا بدير عظيم وفيه راهب في صومعة، فنزل إليّ واستقبلني وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت، فلمّا دخلت الدّير لم أجد فيه غيره، فأخذ بغلتي وطرح لها شعيراً وعزل رحلي في بيت، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط وأوقد بين يدي ناراً عظيمة وجاء بطعام طيب فأكلت ومضت قطعة من اللّيل، فأردت النّوم، فسألته عن طريق المستراح، فدلّني عليه وكنّا في غرفة، فنزلت ومشيت، فلمّا صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة، فلمّا صارت رجلاي عليها سقطت فإذا أنا بالصحراء وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج يسقط سقوطاً عظيماً، فصحت بالراهب فلم يكلّمني، فقمت وقد تجرّح بدني إلاّ أنّي سالم، فجئت فاستظللت بطاق

باب الدير من الثلج، فإذا حجارة قد أتتني لو تمكّنت من دماغي لطحنته، فخرجت أعدو وأصيح، فشتمني، فعلمت أنّي أتيت من جانبه، وأنّه طمع في رحلي، فلمّا خرجت من ظل الدير وقع الثلج عليّ، وبل ثيابي، فنظرت فإذا أنا تالف من البرد والثلج، فولد لي الفكر أن أخذت حجراً قريباً من الثلاثين رطلاً فوضعته على عاتقي وجعلت أعدو به في الصحراء شوطاً طويلاً حتى يأخذني التعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر وجلست أستريح فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وعدوت به، فلم أزل على تلك الحالة إلى الصبح، فلمّا كان قبل طلوع الشمس وأنا خلف الدّير إذ سمعت حس باب الدير قد فتح، وإذا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الّذي سقطت منه، فلم يرني فقال: يا قوم ما فعل، وأنا أسمعه، ثم مشى فخالفته إلى باب الدير ودخلت الدير وهو دائر يطلبني حول الدير ووقفت خلف الباب، وكان في وسطي خنجر لم يشعر به الراهب، فطاف حول الدير، فلمّا لم يقف لي على علم ولا خبر ولا عرف لي أثر عاد ودخل الدير وأغلق الباب، فجئت عليه ووجأته بالخنجر، فصرعته وذبحته وأغلقت باب الدير وصعدت إلى الغرفة، واصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت عليّ من رحلي ثياباً كثيرة وأخذت كساء الراهب فنمت فيه، فما أفقت إلاّ قرب العصر، فلمّا انتبهت طفت الدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه وسكنت نفسي، ووقعت بمفاتيح بيوت الدير، فوقفت أفتح بيتاً بيتاً فإذا أموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات ورحال قوم وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب كان من عادته ذلك مع كل من يجتاز به وحيداً ويتمكّن منه قال: فتحيّرت في نفسي، ولم أدر كيف أعمل في نقل المال، فلبست من ثياب الراهب شيئاً وأقمت في صومعته أيّاماً أتراءى لمن يجتاز بي من بعيد لئلا يشكوا أنّي أنا هو، فإذا قربوا مني لم أبرز إليهم وجهي إلى أن خفي أثري، فنزعت ثياب الراهب وأخذت جوالقين كانا في الدير من تلك الأمتعة، وجعلتهما على ظهر البغلة، وذهبت إلى قرية قريبة من الدير فاكتريت بها منزلاً، ولم أزل أنقل إليه على البغلة حتى أخذت الصامت كله مما خف حمله، وكثرت قيمته، ولم أدع فيه إلاّ الأمتعة الثقيلة، فاكتريت عدّة دواب ورجال وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه، وسرت في قافلة عظيمة بغنيمة هائلة، حتى قدمت على بلدي وقد حصلت على مال عظيم. وقد ذكر هذه الحكاية الحافظ ابن شاكر في «**تاريخه**» عن أبي محمد البطال، وفيها بعض مخالفة.

الخواص: إذا جفف قلب البغل ونحت وسقي من نحاتته امرأة لم تحبل أبداً، وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبداً وإن علقته في جلد بغل عليها لم تحبل أبداً ما دام عليها، ورماد حافره إذا سحق وعجن بدهن الآس وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الّذي لا ينبت فيه شعر نبت، وإذا دفن حافر البغلة السوداء أو دمها تحت عتبة باب لم يقربه فأر، وإذا بخّر البيت بحافر بغلة ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام، ونقل ابن زهر عن

سقراطيس أنّ من كان عاشقاً وأحبّ أن يزول عشقه فليتمرّغ في مراغة بغل ذكر، إن كان عشقه من ذكر وإن كان عشقه من أنثى ففي مراغة بغلة أنثى، وزبله إذا شمّه المزكوم وتفل عليه ورماه على الطريق، فمن تخطّاه انتقل الزكام إليه، وبرىء التافل عليه. وقال هرمس: إذا أخذ وسخ أذن البغل في بندقة من فضّة وعلّق على الحبالى منعهن من الولادة ما دام عليهن، وإذا سقي منه إنسان في نبيذ يسكر من وقته، وإن شربت امرأة من بول بغل مقدار ثلاثين درهماً لم تحبل أبداً، وإن سقيت المرأة الحامل من دماغ بغل شيئاً جاء ولدها مجنوناً. وقال ابن بختيشوع: عرق البغلة إذا تحملت به امرأة في قطنة لم تحبل أبداً.

التعبير: البغل في المنام يدلّ على السفر براكبه، وعلى طول العمر، ويعبّر أيضاً بولد زناً لا أصل له، فمن ركب بغلاً ولم يكن من المسافرين فإنّه يقهر رجلاً شديداً، والبغلة مرتبة، وقيل امرأة عاقر فالسوداء ذات مال، والبيضاء ذات حسب؛ وقيل البغلة أيضاً سفر، فمن نزل عن بغلته نزول مفارقة نزل عن مرتبته، أو فارق زوجته الّتي هي مركبه، أو يطول سفره، والله أعلم.

البغيبغ: تيس الظباء السمين، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه في الظبي في حرف الظاء.

البقر الأهلي: اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، وإنّما دخلته الهاء للوحدة، والجمع بقرات. قال الله تعالى: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: 43]، قال المبرد في «**الكامل**»: إذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى، والبقير والبقران والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبيقور الجماعة. قال الشاعر:

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

وأهل اليمن يسمّون البقرة: باقورة، كتب النبيّ ﷺ إليهم كتاب الصدقة في كل ثلاثين باقورة بقرة واشتقّ هذا الاسم من بقر إذا شقّ لأنّها تشق الأرض بالحراثة ومنه قيل لمحمد بن علي زين العابدين بن الحسين الباقر لأنّه بقر العلم أي شقّه ودخل فيه مدخلاً بليغاً، وفي الحديث أنّه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر أي يشبه بعضها بعضاً ذهبوا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: 70]، وفيه أيضاً رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر**»

وفيه أيضاً «**بينما رجل يسوق بقرة إذ تكلّمت**»، فقالوا: سبحان الله بقرة تتكلّم، «**قال: آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر**»، وفي «**سنن أبي داود**» والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلّل بلسانه كما تتخلّل البقرة**». قال الترمذي: حديث حسن، وهو الذي يتشدّق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفّه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفّاً. وفي «**سنن أبي داود**» من حديث عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لاينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»، وفي «**نهاية الغريب**» في باب السين المهملة في الحديث: «**ما دخلت السكّة دار قوم إلاّ ذُلّوا**»، والسكّة هي التي يحرث بها الأرض أي أنّ المسلمين إذا أقبلوا على الزراعة شغلوا عن الغزو، فيأخذهم السلطان بالمطالبات والجبايات، وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ: «**العزّ في نواصي الخيل والذلّ في أذناب البقر**»، والبقر حيوان شديد القوّة كثير المنفعة خلقه الله ذلولاً ولم يخلق له سلاحاً شديداً كما للسباع، لأنّه في رعاية الإنسان، فالإنسان يدفع عنه ضرر عدوّه، فلو كان له سلاح لصعب على الإنسان ضبطه، والبقر الأجم يعلم أنّ سلاحه في رأسه فيستعمله في محل القرن، كما يرى في العجاجيل قبل نبات قرونها تنطح برؤوسها تفعل ذلك طبعاً وهي أجناس، فمنها الجواميس، وهي أكثرها ألباناً وأعظمها أجساماً. قال الجاحظ: الجواميس ضأن البقر، وهذا يقتضي أنّها أطيب وأفضل من العراب حتى أنّها تكون مقدمة عليها في الأضحية كما يقدم الضأن فيها على المعز. وقال الزمخشري في «**ربيع الأبرار**»: أشراف السباع ثلاثة: الأسد والنمر والببر، وأشراف البهائم ثلاثة: الفيل والكركدن والجاموس، ومنها العراب وهي جرد ملس الألوان، ومنها نوع آخر يقال له: الدربانة بدال مهملة ثم راء ثم باء موحّدة ثم نون وهي التي تنقل عليها الأحمال وربما كانت له أسنمة، والبقر ينزو ذكورها على إناثها إذا تمّ لها سنة من عمرها في الغالب، وهي كثيرة المني، وكل الحيوان إناثه أرق صوتاً من ذكوره إلاّ البقر، فإنّ الأنثى أفخم وأجهر، وهي تقلق إذا ضربها الذكر وتلتوي تحته لاسيّما إذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره، وهي إذا اشتاقت للذكر نفرت وأتعبت الرعاة.

وبأرض مصر بقر يقال لها بقر الخيس طوال الرقاب، قرونها كالأهلة، وهي كثيرة اللبن. وقال المسعودي: رأيت بالري بقراً تبرك كما تبرك الإبل وتثور بحملها كما تثور، وليس لجنس البقر ثنايا عليا، فهي تقطع الحشيش بالسفلى.

فائدة: في آخر كتاب «**المجالسة**» لأحمد بن مروان المالكي الدينوري بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: مر عيسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت: يا كلمة الله ادع الله أن يخلّصني، فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلّصها، فألقت ما في بطنها، قال: فإذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا. وأسند عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس ﷺ قال: إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها: بسم الله الرّحمن الرّحيم لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله ربّ العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون، قلت: وهذا بعض حديث رواه الطبراني عن أنس أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الحليم الكريم، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ربّ السماوات والأرض ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار بلاغ، فهل يهلك إلاّ القوم الفاسقون، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشية أو ضحاها، اللّهمّ إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، اللّهم لا تدع لنا ذنباً إلاّ غفرته ولا همّاً إلاّ فرّجته، ولا حاجة إلاّ قضيتها برحمتك يا أرحم الرّاحمين**».

وممّا جرب لعسر الولادة أن يكتب ويسقى للمطْلِقة وهو: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة] إلى آخرها، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] إلى آخرها. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق] إلى آخرها، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، [الناس] إلى آخرها، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ [الانشقاق: 1-4]، اللّهمّ يا مخلّص النّفس من النّفس، ويا مخرج النّفس من النّفس يا عليم يا قدير خلّص فلانة ممّا في بطنها من ولدها خلاصاً في عافية، إنّك أرحم الرّاحمين.

فائدة أخرى: روى صاحب «**الترغيب والترهيب**» والبيهقي في «**الشعب**» عن ابن عباس ﷺ: أنّ ملكاً من الملوك خرج من بلده يسير في مملكته وهو مستخف من الناس، فنزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك الليلة البقرة فحلبت مقدار ثلاثين بقرة، فعجب الملك من ذلك، وحدّث نفسه بأخذها، فلمّا كان من الغد غدت البقرة إلى مرعاها، ثم راحت فحلبت نصف ذلك، فدعا الملك صاحبها وقال له: أخبرني عن بقرتك هذه لم نقص حلابها؟ ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس؟ قال: بلى، ولكن أرى الملك أضمر لبعض رعيّته سوءاً، فنقص لبنها، فإنّ الملك إذا ظلم أو همّ بظلم ذهبت البركة، قال: فعاهد الملك ربّه أن لا يأخذها ولا يظلم أحداً، قال: فغدت فرعت ثم راحت فحلبت حلابها في اليوم الأوّل، فاعتبر الملك بذلك وعدل، وقال: إنّ الملك إذا ظلم أو همّ بظلم ذهبت البركة، لا جرم لأعدلن ولأكونن على أفضل الحالات.

وذكرها ابن الجوزي في كتاب «**مواعظ الملوك والسلاطين**» على غير هذا الوجه، فقال:

خرج كسرى في بعض الأيام للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلّته سحابة فأمطرت مطراً شديداً حال بينه وبين جنده، فمضى لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى كوخ فيه عجوز، فنزل عندها، وأدخلت العجوز فرسه، فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها، فاحتلبتها، ورأى كسرى لبنها كثيراً، فقال: ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجاً، فهذا حلاب كثير، ثم قامت البنت في آخر الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها، فنادت: يا أمّاه قد أضمر الملك لرعيّته سوءاً، قالت أمّها: وكيف ذلك؟ قالت: إنّ البقرة ما تبز بقطرة من لبن، فقالت لها أمّها: اسكتي، فإنّ عليك ليلاً، فأضمر كسرى في نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم، فلمّا كان آخر الليل قالت لها أمّها: قومي احلبي، فقامت، فوجدت البقرة حافلاً، فقالت: يا أمّاه قد والله ذهب ما في نفس الملك من السوء، فلمّا ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه، فأحسن إليهما، وقال: كيف علمتما ذلك؟ فقالت العجوز: إنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ما عمل فينا بعدل إلاّ أخصبت أرضنا واتّسع عيشنا، وما عمل فينا بجور إلاّ ضاق عيشنا، وانقطعت مواد النفع عنّا.

وذكر الإمام الطرشوشي في «**سراج الملوك**» أنّه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمر ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك، فغصبها السلطان، فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة، قال الطرشوشي: وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد: أعرف هذه النخلة في الغربية تجني عشرة أرادب ستّين ويبة[1]، وكان صاحبها يبيع في سني الغلاء كل ويبة بدينار، وذكر ابن خلكان في ترجمة جلال الدولة ملك شاه السلجوقي أن واعظاً دخل عليه، فكان من جملة ما وعظه به أنّ بعض الأكاسرة اجتاز منفرداً عن عسكره على باب بستان فتقدّم إلى الباب وطلب ماء يشربه فخرجت له صبية بإناء فيه ماء قصب السكر والثلج، فشربه، فاستطابه، فقال لها: هذا كيف يُعمل؟ فقالت: إن القصب، يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا، فيخرج منه هذا الماء، فقال: ارجعي واعصري شيئاً آخر، وكانت الصبية غير عارفة به، فلمّا ولّت قال في نفسه: الصواب أن أعوّضهم غير هذا المكان وأصطفيه لنفسي، فما كان بأسرع من خروجها باكية، وقالت: إنّ نيّة سلطاننا قد تغيّرت، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: كنت آخذ من هذا ما أريد بغير تعب، والآن قد اجتهدت في عصره، فلم أستطع فرجع عن تلك النيّة، ثم قال لها: ارجعي الآن، فإنّك تبلغين الغرض، وعقد في نفسه أن لا يفعل ما نواه، فذهبت، ثم جاءت ومعها ما شاءت من ماء القصب، وهي مستبشرة، قال: وكان ملك شاه من أحسن الملوك سيرة حتى لقّب بالملك العادل، وكان قد أبطل المكوس والخفارات في جميع البلاد، فكثر الأمن في زمانه، وكان قد ملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام، وكان لهجاً بالصيد، قيل إنّه ضبط ما اصطاده بيده، فكان عشرة آلاف، فتصدّق بعشرة آلاف

(١) وَيْبَة: أربعة وعشرون مداً.

دينار، وقال: إنّي خائف من الله تعالى من إزهاق الأرواح لغير مأكلة، وكان كلّما اصطاد صيداً يتصدّق بدينار؛ وقيل إنّه خرج مرّة من الكوفة فاصطاد في طريقه وحشاً كثيراً، فبنى هناك منارة من حوافر حمر الوحش، وقرون الظباء التي صادها في تلك الطريق، قال (يعني ابن خلكان): والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرون، وكانت وفاته ببغداد سادس عشر شوّال سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ومن عجيب الاتّفاق أنّ المقتدي بالله كان قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده، فلمّا دخل ملك شاه بغداد المرّة الثالثة ألزم المقتدي أن يعزل ولده المستظهر، ويجعل ولده جعفر الذي رزقه من ابنته ولي العهد، ويخرج المقتدي إلى البصرة فشقّ ذلك على المقتدي وبالغ في استنزال ملك شاه عن هذا الرأي، فلم يفعل، فسأله المهلة عشرة أيام ليتجهّز، فأمهله، فجعل المقتدي يصوم ويطوي، وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار وهو يدعو على السلطان ملك شاه، فمرض ملك شاه، ومات في تلك الأيام، ولم تشهد له جنازة ولا صلّى عليه أحد في الصورة الظاهرة، وحمل في تابوته إلى أصبهان ودفن بها.

وأمّا البقرة التي أمر الله تعالى بني إسرائيل بذبحها، فقصّتها مشهورة، وستأتي الإشارة إلى شيء منها في باب العين في لفظ العجل إن شاء الله تعالى، فسبحان من فاوت بين الخلق. قيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: اذبح ولدك فتلّه للجبين؛ وقيل لبني إسرائيل اذبحوا بقرة، فذبحوها وما كادوا يفعلون. وخرج أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه من جميع ماله وبخل ثعلبة بن حاطب بالزكاة، وجاد حاتم في حضره وأسفاره وبخل الحباحب بضوء ناره، وكذلك فاوت بين الفهوم، فحبان أنطق متكلّم وباقل أعجز من أخرس، وفاوت بين الأماكن فزرود تشكو العطش والبطائح تشكو الغرق.

غريبة: كانت العرب إذا أرادت الاستسقاء في السنة الأزمة جعلت النيران في أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء لأنّ الله تعالى يرحمها، بسبب ذلك قال الشاعر في ذلك:

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقال أميّة بن أبي الصلت الثقفي يذكر ذلك:

سنة أزمة تخيل للنا س ترى للعِضَاهِ فيها صريرا
لا على كوكب ينوء ولا ري ح جنوب ولا ترى طخرورا
ويسوقون باقر السهل للطو د مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في هلب الأذ ناب منها لكي تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا

وحكى في «**الإحياء**» أنّ شخصاً كانت له بقرة يحلبها ويخلط في لبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل، فغرقت البقرة، فقال له بعض أولاده إنّ تلك المياه المتفرّقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة.

وروى الخلاّل في المجلس التاسع من مجالسه عن جابر بن عبد الله ﷺ أنّ بقرة انفلتت على خمر فشربت منه، فذبحوها، ثم أتوا إلى النبيّ ﷺ فأخبروه فقال: «**كلوها**» أو «**لا بأس بها**».

الحكم: يحل أكلها وشرب ألبانها إجماعاً. في الصحيح عن عائشة ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**سمن البقر وألبانها شفاء، ولحمها داء**»، ورواه ابن عدّي في ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ابن عباس ﷺ بمعناه. وفي الصحيح عن عائشة ﷺ أنّ النبيّ ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقر، وروى الطبراني عن زهير قال: حدثتني امرأة من أهلي عن مليكة بنت عمرو الزيدية من ولد زيد عبد الله بن سعد، قالت: اشتكيت وجعاً في حلقي فأتيتها تعني مليكة بنت عمرو، فوصفت لي سمن بقر، وقالت: إنّ رسول الله ﷺ قال: «ألبانها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء»، والمرأة التابعية لم تسمَّ، وبقية رجاله ثقات، وفي «**المستدرك**» من حديث ابن مسعود ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**عليكم بألبان البقر وأسمانها وإيّاكم ولحومها، فإنّ ألبانها وأسمانها دواء ولحومها داء**»، ثم قال صحيح الإسناد. وروى الحاكم أيضاً وابن حبان عن ابن مسعود أيضاً أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ما أنزل الله داء إلاّ وأنزل له دواء جهله من جهله وعلمه من علمه، وفي ألبان البقر شفاء من كل داء، فعليكم بألبان البقر، فإنّها ترم من كل الشجر**»، أي تأكل. وفي رواية: «ترتم»، وهي بمعناها، ورواه ابن ماجه عن أبي موسى خلا ذكر ألبان البقر، ورواه بتمامه البزار، وفيه محمد بن جابر بن سيار، وهو صدوق عند الأكثرين وضعيف عند غيرهم، وبقية رجاله ثقات، ورواه الحاكم أيضاً في «**تاريخ نيسابور**» من حديث عبد الله بن المبارك عن أبي حنيفة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود، وفي «**كتاب ابن السني**» عن علي بن أبي طالب ﷺ أنّه قال: لم يستشف النّاس بشيء أفضل من السمن، وإذا أوصى ببقرة لم يتناول الثور على الأصح لأنّ لفظها موضوع للأنثى، والثاني يتناوله، والخاء للوحدة. قال الرافعي: وقياس تكميل البقر بالجواميس في الزكاة دخولها هنا، وفي «**العمدة والكفاية**» لا تدخل إلاّ إذا قال: من بقري وليس له إلاّ الجواميس. ولو لم يكن إلاّ بقرات وحش، فوجهان كما ذكرنا في الظباء والأيل، وأمّا زكاتها ففي كل ثلاثين منها سائمة تبيع ابن سنة، وفي كل أربعين مسنة لها سنتان لمّا روى مالك عن طاوس أنّ معاذ بن جبل ﷺ أخذها كذلك، وأتى بما دون ذلك، فلم يأخذ منها شيئاً. وسمّي تبيعاً لأنّه يتبع أمّه في المسرح، وقيل لأنّ قرنه يتبع أذنه، ولو أخرج تبيعة أجزأته بل هي أولى للأنوثة، وسمّيت مسنة لتكامل سنّها، فلو أخرج عن أربعين تبيعين أجزأه على الصحيح، وقال البغوي: لا، لأنّ العدد لا يقوم مقام السن.

فائدة: في «**الحلية**» في ترجمة عكرمة قال: كانت القضاة في بني إسرائيل ثلاثة، فمات أحدهم فولّي غيره مكانه ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا، ثم بعث الله لهم ملكاً يمتحنهم،

فوجد رجلاً يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك، وهو راكب فرساً فتبعتها العجلة فتخاصما، فجاء إلى القاضي الأوّل، فدفع إليه الملك درّة كانت معه، وقال له: احكم بأنّ العجلة لي، قال: بماذا أحكم؟ قال: أرسل الفرس والبقرة والعجلة فإن تبعت الفرس فهي لي، فأرسلها فتبعت الفرس، فحكم له بها وأتيا القاضي الثاني، فحكم كذلك وأخذ درّة، وأمّا القاضي الثالث فدفع له الملك درّة، وقال: احكم بيننا، قال: إنّي حائض، قال الملك: سبحان الله أيحيض الذكر؟، قال: سبحان الله أتلد الفرس بقرة؟ وحكم بها لصاحبها، قلت: هؤلاء كما قال نبيّنا ﷺ: «**قاضيان في النار وقاض في الجنّة**».

الأمثال: قالوا: تركت زيداً بملاحس البقر أولادها، أي بحيث تلحس البقر أولادها، يعنون المكان القفر، وقالوا الكلاب على البقر، وسيأتي معناه في باب الكاف إن شاء الله تعالى.

الخواص: شحم البقر إذا بخرّ به البيت مع زرنيخ أحمر طرد منه العقارب والحيّات وسائر الهوام، وإذا طلي به إناء اجتمعت إليه البراغيث، وقرنه إذا سُحق وجُعل في طعام صاحب حمى الربع زالت عنه، وإذا شرب زاد في الإنعاظ، ودمه يحبس الدم السائل، وإذا طلي بمرارتها مع ماء الكراث البواسير نفعها وسكنها وأزال وجعها، وإذا طلي به الآثار السود من البدن قلعها وأزالها، وإذا خلطت مع العسل واكتحل بها أزالت الظلمة، وإذا طلي بها مع النطرون والعسل وشحم الحنظل المقعد نفعه، وقال أرسطو: مرارة البقرة السوداء إذا اكتحل بها أحدّت البصر، وقال كيماس: إذا فقئت عين البقرة أو قلعت وكتب بمائها على كاغد لم تبن بالنهار وتقرأ بالليل، وشعورها إذا أحرقت وشربت نفعت من وجع الأسنان، وإذا شربت بالكنجبين أزالت الطحال، وإن شربت بالعسل أخرجت حب القرع من البطن. وقال يونس: إذا طليت التواكيل بخثي[1] البقر تناثرت وبرئت من وقتها، وإذا طليت به الأورام الصلبة ليّنها، وإن بخّر به قرية النمل قبل ظهورها لم تظهر، وإن وضع على النقرس نفع صاحبه، وإن بخّر به الحامل سهّل الولادة، وأخرج الجنين حيّاً وميّتاً والمشيمة، وإن أحرق في بيت طرد هوامه، وإن سحق المحرق منه ونفخ في الأنف حبس الرعاف، وإن طلي به على البدن مراراً وترك حتى يجفّ أخرج السهم والشوكة منه وإن طلي به مع الكبريت على خرقة كتان، وبسطت على جميع البطن نشف الماء الأصفر. وقال هرمس: إذا طليت منخر البقرة بدهن ورد دهشت وشردت.

التعبير: البقر في المنام يعبّر بالسنين كما عبّرها يوسف الصديق ﷺ، فالسمان خصب والضعاف جدب، هذا إذا كانت بيضاً أو سوداً، وإذا كانت صفراً أو حمراً وهي تنطح الشجر بقرونها فتقلعها أو الأبنية فتسقطها، فإنّها فتن تحلّ بذلك المكان الذي دخلته لقوله عليه الصلاة

(١) خثي البقر: ما في بطنه إذا رمى به.

والسلام: «**إنّ الفتن تكون في آخر الزمان كصياصي[1] البقر وكعيون البقر**». والبقرة الصفراء سنة فيها سرور، والغبرة في البقر شدّة في أوّل السنة، والبلقة في أعجازها شدّة في آخر السنة، والنصف من البقرة مصيبة في أخت أو بنت، وكذلك كل سهم ينسب إلى من يرثه كالربع والثمن، ومن حلب بقرة غيره فإنّه يخون رجلاً في امرأته، ومهما رأى الإنسان ببقرته فذلك عائد إلى زوجته أو بنته، وحليب البقرة مال حلال جزيل، وأصواتها تدلّ على ناس معروفين بالأدب، وخدشها مرض، ومن وثب عليه بقرة أو ثور ولم يفلته فإنّه يموت في تلك السنة، والبقرة في المنام للفلاحين خير، وأنسب البقر في ألوانها إلى ما تنسب إليه الخيل، ويأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في باب الخاء المعجمة، ومن رأى بقرة دخلت داره، ونطحته، فإنّه يرى خسراناً في ماله. وقالت النصارى: من أكل لحم بقر في نومه تقدّم إلى حاكم، والشحم مال لمن حواه خالص لا يغادره منه شيء، وهو بلا تعب، وأمّا شواء البقر فهو أمن للخائف، ومن كانت له زوجة وهي حامل بشّر بولد ذكر والشواء بشارة في معيشته، فإن كان غير ناضج فهو همّ من قبل امرأة، وقيل لحم البقر رزق، وخصب لمن أكله مطبوخاً أو مشوياً، ومن الرؤيا المعبّرة قول عائشة رضي الله عنها: رأيت كأنّي على تلّ وحولي بقر ينحر، فقصصتها على مسروق، فقال: إن صدقت رؤياك فإنّه يكون حولك ملحمة قتال، فكان كذلك يوم الجمل، ومن رأى بقرة تمص لبن عجلها فإن امرأته تقود على ابنتها، ومن رأى عبداً يحلب بقرة مولاه فإنّه يتزوّج امرأة المولى، والله تعالى أعلم.

البقر الوحشي: هذا النوع أربعة أصناف: المها والأيل واليحمور والثيتل، وكلّها تشرب الماء في الصيف إذا وجدته، وإذا عدمته صبرت عنه، وقنعت باستنشاق الريح، وفي هذا الوصف يشاركها الذئب والثعلب وابن آوى والحمر الوحشية والغزلان والأرانب، فأمّا الأيل فتقدّم ذكره، واليحمور سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الياء آخر الحروف. والكلام الآن في المها، فمن طبعه الشبق والشهوة، فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفاً من عبثه بها وهي حامل، ولفرط شهوته يركب الذكر ذكراً آخر، وإذا ركب واحد منها شمّ الباقي منه رائحة الماء، فيثبن عليه. وقرون البقر الوحشي مصمّتة بخلاف قرون سائر الحيوانات، فإنّها مجوّفة كما تقدّم. والبقر الوحشي أشبه شيء بالمعز الأهلية، وقرونها صلاب جداً تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التي تطيف بها.

(١) صياصي البقر: قرونها.

فائدة: لمّا أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، قال رسول الله ﷺ لخالد: «**إنّك تجده يصيد بقر الوحش**»، فلمّا وصل إليه كان في ليلة مقمرة، فأذن الله تعالى للبقر الوحشية أن تأتيه من كل جانب تحك قصره بقرونها فأشرف عليها، وقال: ما رأيت أكثر منها الليلة، ولقد كنت أكمن لها اليومين والثلاثة ولا أجدها، ولكن قدر الله وما شاء فعله، ثم أمر بفرسه فأسرج وركب هو وأخوه حسان، وعليه قباء من الديباج المخوص بالذهب، فلمّا نزل وافته خيل رسول الله ﷺ فأخذته أسيراً وأرسلوه بقبائه إلى رسول الله ﷺ فتعجّب منه بعض أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**لمناديل سعد في الجنة خير من هذا**»، ثم إنّ النبيّ ﷺ عرض عليه الإسلام فأبى، فأقرّه بالجزية في أرضه في شهر رجب سنة تسع من الهجرة وأشار إلى هذه البقرات الوحشية بجير بن بجرة الطائي بقوله:

تبارك سائق البقرات إنّي ... رأيت الله يهدي كل هادي
فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنّا قد أمرنا بالجهاد

وسيأتي مزيد كلام في المها في باب الميم إن شاء الله تعالى.

الحكم: يحل أكلها بجميع أنواعها بالإجماع لأنّها من الطيّبات.

الأمثال: قالت العرب: تتابعي بقر. زعموا أنّ بشر بن الحارث الأسدي خرج في سنة جهد فيها قومه فمروا ببقر فنفرت منهم، فقام على رأس جبل فرماها بقوسه، فجعلت تلقي نفسها وهو يقول: تتابعي بقر حتى تكسّرت، ثم رجع إلى قومه فدعاهم لأكلها. يضرب عند تتابع الأمر وسرعته.

الخواص: مخّه يطعم لصاحب الفالج ينفعه نفعاً شديداً، ومن استصحب معه شعبة من قرونه نفرت منه السباع، وإذا دخن بقرنه أو جلده أو ظلفه في بيت نفرت منه الحيات، ورماده يذرّ على السن المتأكلة المتألّمة يسكن وجعها، وشعره يبخّر به البيت يهرب منه الفأر والخنافس، وقرنه يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه، ويشرب في شيء من الأشربة يزيد في الباه ويقوّي العصب، ويزيد في الإنعاظ، وينفخ في أنف الراعف يقطع دمه، ويحرق قرناه حتى يصيرا رماداً، ويداف في الخل ويطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس فإنّه يزول ويسف منه مقدار مثقال، فإنّه لا يخاصم أحداً إلاّ غلبه.

بقر الماء: قال القزويني: زعموا أنّ بقراً يطلع من الماء يرعى الزرع وروثها العنبر، والله أعلم بصحة ذلك، فإنّ النّاس ذكروا أن العنبر نبت بقعر الحبر فإن صحّ ما قالوه فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب، والله أعلم.

بقرة بني إسرائيل: هي التي يقال لها أم قيس وأم عويف، وهي دابة صغيرة لها قرنان تكون في الرمل، فإذا أردت أن تخرجها فاطرح في موضعها قملة فتخرج فتأخذها، فإذا صارت في يدك فشق ظهرها، وأدخل فيه ميلاً وأكحل به من بعينيه بياض ثلاث مرّات، فإنّه يذهب، وإذا دلك بهذه الدّابة موضع القرع نبت فيه الشعر.

البقّ: قال الجوهري: البقّة البعوضة والجمع البقّ، وأنشد في باب العين والياء واللام لزفر بن الحرث الكلابي:

ألا إنّما قيس بن عيلان بقّة إذا وجدت ريح العصير تغنّت

والبق المعروف هو الفسافس الآتي في باب الفاء إن شاء الله تعالى، يقال إنّه يتولّد من النّفس الحار، ولشدّة رغبته في الإنسان لا يتمالك إذا شمّ رائحته إلاّ رمى نفسه عليه، وهو كثير بمصر وما شاكلها من البلاد.

وحكمه: تحريم الأكل لاستقذاره كالبعوض، وهو من الحيوان الذي لا نفس له سائل أصلاً كما قاله الرافعي رحمه الله في الدم، والدم الذي فيه يمتصّه من بني آدم كما يمتصّه القمل والبرغوث. ووقع في كلام الرافعي والنووي وغيرهما تمثيل ما لا نفس له سائل بالبعوض والبق. قال الشيخ: وفي ذكر البق المعروف في بلادنا فيما لا نفس له سائلة نظر، وقد رأيت بعض الناس يذكر أنّه في كثير من البلاد اسم للبعوض، فلعل من أطلقه أراد به البعوض.

الخواص: قال القزويني في «**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**»: إذا بخّر البيت بالقلقند والشونيز لم يدخله البق بالكلية، وكذلك إذا بخّر بنشارة الصنوبر طرده أيضاً، وقال حنين بن إسحاق: إذا بخّر البيت بحب المحلب هرب منه البق أجمع، وكذلك إذا بخّر بالعلق أو العاج أو بجلد جاموس أو بأغصان شجر السرو، وقال غيره: إذا نقع ورق الحرمل في خل ونضح به البيت هرب منه، وإذا وضع الحرمل عند رأس الإنسان أو رجليه لم يقرب منه البق، وإذا نقع السذاب في خل ونضح به البيت هرب منه، وإذا أخذ كندر وكبريت ودقا وديفا بماء، وطلي بذلك قضيب قنب ووضعه إنسان عند رأسه حيث ينام لم يقربه بق البتة، وقال ابن جميع في «**الإرشاد**» دخان الكمّون والآس اليابس والترمس يطرد البق والبعوض، وممّا جرّب فوجد نافعاً لطرد البق أن يكتب على أربع ورقات ويلصق في الحيطان الأربع ما صورته 111212.

تذنيب: قد ذكر النبيّ ﷺ البق في حديث رواه الطبراني بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفّيه جميعاً حسناً أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول: «**حزقة حزقة ترقّ عين بقة**» فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: «**افتح فاك**»، ثم قبّله، ثم قال: «**اللّهمّ من أحبه فإنّي أحبّه**»، ورواه البزار ببعض هذا اللفظ والحزقة الضعيف المتقارب الخطو،

وذكر ذلك له على سبيل المداعبة والتأنيس، وترق معناه اصعد، وعين بقة كناية عن صغر العين مرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف. وفي «**كامل**» ابن عدي و«**تاريخ**» ابن النجّار في ترجمة محمد بن علي بن الحسين بن محمد عن الأصبغ بن نباتة الحنظلي قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في خطبته: ابن آدم وما ابن آدم؟ تؤلمه بقة وتنتنه عرقة، وتقتله شرقة. والأصبغ بن نباتة الحنظلي المذكور يروي عن علي رضي الله عنه أشياء لم يتابعه عليها أحد، فاستحقّ من أجلها الترك. وروى له ابن ماجه حديثاً واحداً: نزل جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ بحجامة الأخدعين والكاهل.

الحكم: يحرم أكل البق لاستقذاره كالبعوض.

الأمثال: قالوا أضعف من بقّة.

التعبير: البق في المنام أعداء ضعاف طعانون وهم جند لا وفاء لهم ولا جلد، ويدل أيضاً عن الهم والحزن، لأنّ البق يمنع النوم والهم والحزن يمنعان النوم، والله أعلم.

البكر: الفتي من الإبل والأنثى بكرة، والجمع بكار مثل فرخ وفراخ، وقد يجمع في القلة على أبكر، قال أبو عبيدة: البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبكرة بمنزلة الفتاة، والقلوص بمنزلة الجارية، والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة. وروى مسلم عن أبي رافع أنّ النبيّ ﷺ استلف من رجل بكراً، فلمّا جاءت إبل الصدقة أمرني أن أقضي الرجل بكراً، فقلت: لم أجد في الإبل إلاّ جملاً خياراً رباعياً، فقال ﷺ: «**أعطه، فإن خياركم أحسنكم قضاء**»، وفي رواية: بازلاً بدل رباعياً. وروى الحاكم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: بعت من رسول الله ﷺ بكراً فجئت أتقاضاه، فقلت: يا رسول الله اقضني ثمن بكري، قال: «نعم»، ثم قضاني فأحسن قضائي، ثم جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله اقضني بكرة، فقضاه بعيراً مسناً، فقال يا رسول الله هذا أفضل من بكري، فقال ﷺ: «**هو لك، إنّ خير القوم خيرهم قضاءً**»، ثم قال: صحيح الإسناد. وروى الحافظ أبو يعلى بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: حجّ رسول الله ﷺ، فلمّا أتى وادي عسفان قال: «**يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟**» قال: وادي عسفان، قال ﷺ: «**لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجّون البيت العتيق**». وروى مسلم عن سيرين بن معبد الجهني رضي الله عنه أنّه غزا مع رسول الله ﷺ في فتح مكّة قال: فأذن لنا رسول الله ﷺ في المتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنّها بكرة عيطاء أي شابة طويلة العنق في اعتدال، فعرضنا علينا أنفسنا، فقالت: ما تعطيني؟ فقلت: ردائي، وقال صاحبي: ردائي، وكان رداء صاحبي أجود من ردائي، وكنت أشبّ منه، فكانت إذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها، وإذا نظرت إليّ أعجبتها، ثم قالت: أنت ورداؤك تكفيني، فمكثت معها ثلاثاً، ثم إنّ رسول الله ﷺ قال: «**من كان عنده شيء من هذه النساء**

التي يتمتّع بهن فليخل سبيلها». وفي رواية: فلم أخرج عنها حتى حرمها رسول الله ﷺ. وروى أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ أعرابياً أهدى لرسول الله ﷺ ناقة، فعوّضه منها ستّ بكرات فتسخّطها فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنّ فلاناً أهدى إليّ ناقة فعوضته منها ست بكرات، فظل ساخطاً لقد هممت أن لا أقبل هدية إلاّ من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي**». وفي حديث علي رضي الله عنه: صدقني سن بكر وهو مثل تضربه العرب للصادق في خبره ويقوله الإنسان على نفسه، وإن كان ضاراً له، وأصله أنّ رجلاً ساوم رجلاً في بكر يشتريه فسأل صاحبه عن سنّه فأخبره بالحق، فقال المشتري: صدقني سن بكره. وفي «**مسند الشافعي**» عن مولى لعثمان قال: بينما أنا مع عثمان رضي الله عنه في يوم صائف إذ رأى رجلاً يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح، فدنا الرجل، فقال: انظر، فنظرت، فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت: هذا أمير المؤمنين، فقام عثمان رضي الله عنه فأخرج رأسه من الباب فآذاه نفح السموم، فأعاد رأسه، حتى إذا حاذاه قال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: بكران من إبل الصدقة تخلّفا، وقد مُضِيَ بإبل الصدقة، فأردت أن أُلحِقهما بالحمى خشية أن يضيعا فيسألني الله عنهما، فقال عثمان: هلمّ إلى الماء والظل، فقال: عد إلى ظلّك، فقال: عندنا من يكفيك، فقال: عد إلى ظلّك، ثم مضى، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا.

الأمثال: في الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها، وقالوا جاؤوا على بكرة أبيهم يصفونهم بالقلّة أي جاؤوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم، قلت: وأصله أنّ قوماً قتلوا وحملوا على بكرة أبيهم، فقيل فيهم ذلك، ثم صار مثلاً لقوم جاؤوا مجتمعين. وقال أبو عبيدة: معناه جاؤوا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وقال بعضهم: البكرة ههنا هي التي يستقى عليها أي جاؤوا بعضهم في أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد، وقال قوم: أراد بالبكرة الطريقة أراد أنّهم جاؤوا على طريقة أبيهم أي يقتفون أثره، وقيل هو ذم، ووصف بالقلّة والذلّة أي يكفيهم للركوب بكرة واحدة، وذكر الأب احتقار وتصغير لهم.

وحكمه وخواصه وتعبيره: كالإبل.

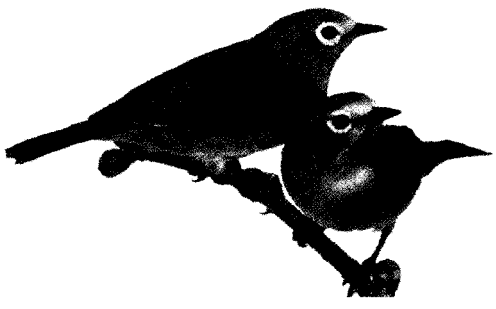

البلبل: من أنواع العصافير، ويقال له الكُعَيْتُ والجُمَيْلُ مصغّرات، وهو النُّغَر، وسيأتي في بابه، وقد أحسن من ألغز فيه بقوله:

وما طائر نصفه كلّه
له في ذرا الدوح سير ولبث

رأيـــنـــا ثـــلاثـــة أربـــاعـــه إذا صـحـفـوهـا غـدت وهـي ثـلـث

وقد أجاد علي بن المظفر أبو الفضل الآمدي قاضي واسط حيث قال:

وأهـالـه ذكـر الـحـمـى فـتـأوّهـا ودعـا بـه داعـي الـصـبـا فـتـولّـهـا
هـاجـت بـلابـلـه الـبـلابـل فـانـثـنـت أشـجـانـه تـثـنـي عـن الـحـلـم الـنـهـى
فـشـكـا جـوىً وبـكـى أسىً وتـنـبـه الـ ـوجـد الـقـديـم ولـم يـزل مـتـنـبـهـا
لا تـكـرهـوه عـلـى الـمـلـوّ فـطـالـمـا حـمـل الـغـرام فـكـيـف يـسـلـو مـكـرهـا
لا عـتـب يـا سـعـدى عـلـيـك فـسـامـحـي وصِـلِـي فـقـد بـلـغ الـسـقـام الـمـنـتـهـى

وما أحسن قول يوسف بن لؤلؤ حيث يقول:

بـاكـر إلـى الـروضـة تـجـلـهـا فـثـغـرهـا فـي الـصـبـح بـسـام
والـنـرجـس الـغـض اعـتـراه الـحـيـا فـغـض طـرفـاً فـيـه أسـقـام
وبـلـبـل الـدوح فـصـيـح عـلـى الأيـ ـكـة والـثـحـرور تـمـتـام
ونـسـمـة الـصـبـح عـلـى ضـعـفـهـا لـهـا بـنـا مَـرٌّ وإلـمـام
فـعـاطـنـي الـصـهـبـاء مـشـمـولـة عـذراء فـالـواشـون نـوّام
واكـتـم أحـاديـث الـهـوى بـيـنـنـا فـفـي خـلال الـروض نـمـام

ومن محاسن شعره أيضاً قوله:

سقى الله أرضاً نور وجهك شمسها وأحيا بلاداً أنت في أفقها بدر
وروّى بقاعاً جود كفّك غيثها ففي كل قطر من نداك بها قطر

وله أيضاً:

تـسـلـسـل دمعي وهو لا شك مطلق وصحّ حقيقاً حين قالوا تكسرا
وفي قلب مائي للقلوب مسرة وقالوا سيجزى بالهنا وكذا جرى

وله أيضاً:

بـعـيـنـي رأيـت الـمـاء ألـقـى بـنـفـسـه عـلـى رأسـه مـن شـاهـق فـتـكـسـرا
وقـام عـلـى إثـر الـتـكـسـر جـاريـاً ألا فـاعـجـبـوا مـمـن تـكـسـر قـد جـرى

وله أيضاً:

أنـفـقـت كـنـز مـدائـحـي فـي ثـغـره وجـمـعـت فـيـه كـل مـعـنـى شـارد
وطـلـبـت مـنـه جـزاء ذلـك قـبـلـة فـأبـى وراح تـغـزلـي فـي الـبـارد

والعرب تقول: البلبل يعندل أي يصوّت، وروى الحافظ أبو نعيم وصاحب «**الترغيب**

والترهيب» من حديث مالك بن دينار أن سليمان بن داود صلّى الله عليهما وسلّم مر على بلبل فوق شجرة يصفر ويحرّك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنّه يقول: أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء، وهو بالمد، أي على الدنيا الدروس، وذهاب الأثر، وقيل العفاء التراب، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين في لفظ العقعق عن الزمخشري أنّه ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [العنكبوت: 60]، عن بعضهم أنّ البلبل يحتكر القوت، حكى البويطي عن الشافعي رضي الله عنه أنّه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله عنه وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه، فقال: إنّي حلفت بالطلاق الثلاث أنّ هذا البلبل لا يهدأ من الصياح، فقال له مالك: قد حنثت، فمضى الرجل، فالتفت الشافعي رضي الله عنه إلى بعض أصحاب مالك فقال: إنّ هذه الفتيا خطأ فأخبر مالك بذلك، وكان مالك رضي الله عنه مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يراده وربّما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إنّ هذا الغلام يزعم أنّ هذه الفتيا إغفال وخطأ، فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال له الشافعي: أليس أنت الذي رويت لنا عن النبيّ ﷺ في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنّها قالت للنبيّ ﷺ: إنّ أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال ﷺ: «**أمّا أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأمّا معاوية فصعلوك لا مال له**»، فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه؟!، وإنّما أراد من ذلك الأغلب، فعرف مالك محل الشافعي ومقداره. قال الشافعي: فلمّا أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودّعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام اتّق الله تعالى ولا تطفىء هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي. يعني بالنور العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40]، هكذا جاء في هذه الرواية البلبل. وجاء في رواية أخرى القمري، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

التعبير: هو في الرؤيا رجل موسر؛ وقيل امرأة موسرة؛ وقيل ولد قارىء الكتاب لله لا يلحق.

البلج: بضم الباء وفتح اللام قال ابن سيّده: إنّه طائر أغبر اللون أعظم من النسر محترق الريش لا تقع ريشة منه وسط ريش طائر آخر إلاّ أحرقته؛ وقيل: هو النسر القديم الهرم والجمع بلحان.

البلشون: هو مالك الحزين، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم.

البلصوص: بضم الباء واللام المشدّدة طائر، وجمعه البلنصي على غير قياس، وقال سيبويه النون زائدة لأنّك تقول للواحد البلصوص، والعامة تسمّيه أبو لصيص، قال البطليوسي

في «**الشرح**»: وقد اختلف اللغويون في هذين الاسمين أيّهما الواحد وأيّهما الجمع، فقال قوم: البلصوص هو الواحد، والبلنصي هو الجمع، وعكس ذلك آخرون، وقال قوم: البلصوص الذكر، والبلنصي الأنثى، ذكره ابن ولاّد، وأنشد:

والبلصوص يتبع البلنصي

قال: وقياس جمع البلصوص بلاصيص ولم أدر ما حكم هذا الطائر.

بنات الماء: قال ابن أبي الأشعث: هي سمك ببحر الروم، شبيهة بالنساء ذوات شعر سبط، ألوانهن إلى السمرة، ذوات فروج وعظام وثدي، وكلام لا يكاد يُفهم، ويضحكن ويقهقهن، وربّما وقعن في أيدي بعض أهل المراكب فينكحوهن ثم يعيدوهن إلى البحر، وحكي عن الروياني صاحب البحر أنّه كان إذا أتاه صيّاد بسمكة على هيئة المرأة حلفه أنّه لم يطأها. وذكر القزويني أنّه صيد لبعض الملوك رجل إذا تكلّم لا يفهم ما يقول، فزوّجه بامرأة، فرزق منها ولداً، فصار يتكلّم بلغة أبيه ولغة أمّه، وقد تقدّم هذا في باب الهمزة في إنسان الماء.

بنات وردان: يأتي ذكرها في آخر باب الواو إن شاء الله تعالى.

البهار: بضم الباء، حوت أبيض طيّب من حيتان البحر. قال الجوهري: والبهار بالضم، شيء يوزن به وهو ثلاثمائة رطل، وقال عمرو بن العاص: إنّ ابن الصعبة يعني طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب، فجعله وعاء، قال أبو عبيد القاسم بن سلام: والبهار في كلامهم ثلاثمائة رطل وأحسبها غير عربية وأراها قبطية.

البُهْثة: بالضم البقرة الوحشية، وقد تقدّم ذكرها.

البهرمان: ضرب من العصفور، قاله ابن سيّده.

البَهْمة: بفتح الباء الصغير من أولاد الغنم والبقر والوحش وغيرها الذكر والأنثى فيه سواء، والجمع بَهْم وبُهْم بهام وبهامات. قال الأزهري في «**شرح ألفاظ المختصر**»: أمّا أسنان الغنم فساعة تضعها أمّها من الضأن والمعز ذكراً كان أو أنثى سخلة وجمعها سخال ثم هي بهمة، فإذا بلغت أربعة أشهر، وفصلت عن أمّها، فما كان من أولاد المعز، فهو جفار واحدها جفر، فإذا رعى وقوي، فهو عريض وعتود، وجمعهما عرضان وعتدان، وهو في كل ذلك جدي،

والأنثى عناق ما لم يأت عليها الحول، وجمعها عنق، والذكر تيس، إذا أتى عليه الحول والأنثى عنز ثم تجذع في السنة الثانية، فالذكر جذع، والأنثى جذعة، فعلم منه أنّ ما نقله النووي رحمه الله عنه في عناق فيه نوع خلل، والله أعلم. وروى الشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأصحاب السنن الأربعة من حديث لقيط بن صبرة، واللفظ لأبي داود قال: كنت وافد بني المنتفق أو في وفد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ، فلمّا قدمنا عليه لم نجده في منزله فصادفنا عائشة أمّ المؤمنين ﵂، فأمرت لنا بحريرة، أو قال بعصيدة، فصنعت لنا وأتينا بقناع، والقناع طبق فيه تمر، ثم جاء رسول الله ﷺ عنه فقال: «**هل أصبتم شيئاً، أو آمر لكم بشيء؟**» قلنا: نعم يا رسول الله، قال: فبينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح، ومعه سخلة تيعر، فقال ﷺ: «**ما ولدت يا غلام؟**» قال: بهمة، قال: «فاذبح لنا مكانها شاة»، ثم قال ﷺ: «**لا تحسبن أنّا من أجلك ذبحناها لنا غنم مائة ما نريد أن تزيد، فإذا ولدت لنا بهمة ذبحنا مكانها شاة**»، قلت: يا رسول الله إنّ لي امرأة، وإنّ في لسانها شيئاً يعني البذاءة، قال: «**فطلّقها إذاً**»، قلت: يا رسول الله إنّ لها صحبة، وإنّ لي منها ولداً، قال: «**فعظها، فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك ضربك لأمتك**»، قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء، قال: «**أسبغ الوضوء، وخلّل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلاّ أن تكون صائماً**». وفي «**سنن أبي داود**» من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: إنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى جدار اتّخذه قبلة ونحن خلفه، فجاءت بهمة تمر بين يديه، فما زال ﷺ يدرؤها حتى لصق بطنه بالجدار، فمرّت من ورائه، وسيأتي في الجدي نحو ذلك، وفي «**صحيح مسلم**» و«**سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه**» من حديث يزيد بن الأصم عن ميمونة أنّ النبيّ ﷺ كان إذا سجد جافى بين يديه حتى لو أنّ بهمة أرادت أن تمرّ بين يديه مرّت.

البهيمة: كل ذات أربع من دواب البر والبحر، قاله ابن سيّده، والجمع بهائم قال ﷺ: «**إنّ لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش**»، سمّيت بهيمة لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها، وعدم تمييزها وعقلها، ومنه باب مبهم أي مغلق، وليل بهيم، قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: 1]، فأضاف الجنس إلى ما هو أخص منه، وذلك أنّ الأنعام هي الثمانية الأزواج، وما أضيف إليها من سائر الحيوان يقال له أنعام، مجموعة معها، وكأنّ المفترس كالأسد، وكل ذي ناب خارج عن حد الأنعام، فبهيمة الأنعام هي الراعي من ذوات الأربع. وروي عن عبد الله بن عمر ﵄ أنّه قال: بهيمة الأنعام الأجنة التي تخرج عند الذبح من بطون الأمّهات، فهي تؤكل من غير ذكاة، ونقل عن ابن عباس ﵄ أيضاً، وفيه بُعد، لأنّ الله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 1]، وليس في الأجنة ما يستثنى، وحل بهيمة الأنعام من حكم الله تعالى إذ لولا الليل ما عرف قدر النهار، ولولا المرض لم يتنعم الأصحّاء بالصحّة، ولولا النّار ما عرف أهل الجنّة قدر النعمة، كما أنّ فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم

وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم، بل تقديم الكامل على **الناقص عين العدل، وكذلك تفخيم** النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران **فداء لأهل الإيمان بأهل الكفر**، وهو عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل، فلو **خلق البهائم لما ظهر شرف الإنسان**. روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه **عن أنس بن مالك** رضي الله عنه **أنّه دخل** دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: نهى رسول الله ﷺ **أن تصبّر** البهائم، وهو أن يمسك من ذوات الروح شيء حي ثم يرمى بشيء حتى يموت، وفي «**الصحيحين**» وغيرهما أنّ النبيّ ﷺ لعن فاعل ذلك، ولأنّه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان يذكّى، وفي الحديث أنّه ﷺ نهى عن المجثمة وهي كل حيوان يُنصب ويُرمى ليُقتل إلاّ أنّها تكثر في الطير والأرانب، ونحو ذلك مما يجثم في الأرض، أي يلزمها ويلتصق بها، وجثم الطائر جثوماً وهو بمنزلة البروك للإبل. وروى أبو داود والترمذي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم، وفي «**شفاء الصدور**» لابن سبع عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**أجل البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب والبقر وما ساوى ذلك في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله عز وجل أرواحها**».

فائدة: قال ابن دحية في كتاب «**الآيات البيّنات**» اختلف الناس في حشر البهائم، وفي جريان القصاص بينها، فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: لا يجري القصاص بين البهائم لأنّها غير مكلفة، وما ورد في ذلك من الإخبار نحو قوله ﷺ: «**يقتص للجماء من القرناء، ويسئل العود لم خدش العود**»، فعلى سبيل المثل والأخبار عن شدّة التقصّي في الحساب وأنّه لا بد من أن يقتص للمظلوم من الظالم. وقال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني: يجري القصاص بينها، ويحتمل أنّها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا، قال ابن دحية: وهذا جار على مقتضى العقل والنقل لأنّ البهيمة تعرف النفع والضر، فتنفر من العصا، وتقبل للعلف وينزجر الكلب إذا انزجر وإذا أشلى[1] استشلى، والطير والوحش تفر من الجوارح استدفاعاً لشرّها، فإن قيل القصاص انتقام، والبهائم ليست بمكلّفة، فالجواب أنّها غير مكلّفة إلاّ أنّ الله يفعل في ملكه ما أراد، كما سلّط عليها في الدنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى، وأيضاً فإنّ البهائم إنّما يقتص منها لبعضها من بعض إلاّ أنّها لا تطالب بارتكاب نهي ولا بمخالفة أمر لأنّ هذا مما خصّ الله به العقلاء، ولما كثر التنازع رجعنا لما أمرنا به ربّنا بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]، ووجدنا القرآن العظيم يدلّ على الإعادة في الجملة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ

(١) أشلى: أغرى.

أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: 38]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]، والحشر في اللغة الجمع، وفي «**الصحيحين**» عن رسول الله ﷺ: «**يحشر النّاس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيّتهم النّار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا**»، فهذا يدلّ على حشر الإبل مع الناس. وروى الإمام أحمد بسند صحيح إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء حتى للذرة من الذرة**»، فإذا كانت البهائم والذر يقتص منها، فكيف يغفل من هو مكلف مأمور؟ نسأل الله السلامة من شرور أنفسنا، وسيّئات أعمالنا. وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»، وفيه أيضاً وفي غيره: «**ما من صاحب إبل لا يؤدّي منها حقّها إلاّ إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر، ثم يؤتى بها أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيل واحد تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها**»، الحديث بطوله، وفي «**صحيح البخاري**»: «ليأتين أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلّغت، وقد صحّ عنه ﷺ أيضاً أنّه قال: «**ما من دابة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة فرقاً من قيام الساعة إلاّ الجن والإنس**»، وإصاختها بإلهام الله إيّاها في ذلك اليوم، محمول على ما جبلها الله تعالى عليه من توقيها لما يضرّها وانقيادها إلى ما ينفعها جبلة لا عقلاً، وإحساساً حيوانياً لا إدراكاً فهمياً، وإذا جبل الله النملة على حمل قوتها وادّخاره لزمن الشتاء فجبلّة البهيمة على الإصاخة محاذرة يوم القيامة أولى، ومن استقرى أحوال الحيوانات رأى حكمة الله فيها لما سلبها العقل وجعل لها حساً تفرق به بين الضار لها والنافع، وجبلها على أشياء وألهمها إيّاها لا توجد في الإنسان إلاّ بعد التعلم وتدقيق النظر، فمنها النحلة المحكمة لتسديس مخزن قوتها حتى يتعجّب منه أهل الهندسة، والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتناسب دوائرها، وكذلك السرفة في إحكام بيتها مربعاً من عيدان، وقد ظهرت من البهائم الصنائع العجيبة والأفاعيل الغريبة، ولم يسلبها رب العالمين سوى العبارة عن ذلك، والنطق به، ولو شاء أنطقها كما أنطق النملة في عهد سليمان على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

والبهيم من الخيل الذي لاشية فيه الذكر والأنثى فيه سواء، والبهم من النعاج السود التي لا بياض فيها. وأمّا قوله ﷺ في الحديث: «**يحشر الناس يوم القيامة بهماً**»، فمعناه أنّه ليس بهم شيء ممّا كان في الدنيا نحو البرص والعرج والعمى والعور وغير ذلك، وإنّما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أو النّار، وقيل بل عراة، ليس عليهم من متاع الدنيا شيء، وهذا يخالف الأوّل من حيث المعنى، ومن شعر مسعر بن كدام، أحد الأعلام:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتتعب فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

فرع: اختلف أصحابنا في نقض الوضوء بمس فرج البهيمة على وجهين، أحدهما: ينقض لعموم النقض بمس الفرج والأصح أنّه لا ينقض إذ لا حرمة لها ولا تعبد عليها، وأمّا دبرها فلا ينقض قطعاً. قال الدارمي: ولا فرق في الخلاف بين البهائم والطير.

الأمثال: قالوا: ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة ممثلة أو بهيمة مهملة يضرب في مدح القدرة على الكلام.

البوم والبومة: بضم الباء، طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول صدى أو فياد، فيختصّ بالذكر، وكنية الأنثى أمّ الخراب، وأمّ الصبيان، ويقال لها أيضاً: غراب الليل، قال الجاحظ: وأنواعها: الهامة، والصدى، والضوع، والخفاش، وغراب الليل والبومة، وهذه الأسماء كلّها مشتركة أي تقع على كل طائر من طير الليل يخرج من بيته ليلاً، قال: وبعض هذه الطير يصيد الفأر وسام أبرص والعصافير وصغار الحشرات، وبعضها يصيد البعوض.

ومن طبعها أن تدخل على كل طائر في وكره وتخرجه منه، وتأكل فراخه وبيضه، وهي قويّة السلطان بالليل، لا يحتملها شيء من الطير، ولا تنام بالليل، فإذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفن ريشها للعداوة التي بينهن وبينها، ومن أجل ذلك صار الصيادون يجعلونها تحت شباكهم ليقع لهم الطير. ونقل المسعودي عن الجاحظ أنّ البومة لا تظهر بالنهار خوفاً من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصور في نفسها أنّها أحسن الحيوان لم تظهر إلاّ بالليل. وتزعم العرب في أكاذيبها أنّ الإنسان إذا مات أو قتل تتصوّر نفسه في صورة طائر تصرخ على قبره مستوحشة لجسدها. والطائر ذكر البوم وهو الصدي، وفي ذلك يقول توبة الحميري أحد عشاق العرب:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

فيقال إنّها مرّت بقبره فأنشدت ذلك، فارتفع شيء من القبر كالطائر نفرت منه ناقتها، فسقطت ميتة، ودفنت إلى جانبه.

والبوم أصناف، وكلّها تحب الخلوة بأنفسها، والتفرد، وفي أصل طبعها عداوة الغربان،

وفي «**تاريخ ابن النجار**» أنّ كسرى قال لعامل له: صد لي شر الطير، واشوه بشر الوقود وأطعمه شر الناس، فصاد بومة وشواها بحطب الدفلى وأطعمها ساعياً. وفي «**سراج الملوك**» للإمام أبي بكر الطرطوشي في الباب السابع والأربعين أنّ عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميراً له يحدّثه، فكان فيما حدّثه به أن قال: يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أفعل إلاّ أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب، فقالت بومة الموصل: لا أقدر على ذلك الآن، ولكن إن دام والينا سلّمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك، قال: فاستيقظ لها عبد الملك، وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض، وتفقّد أمور الولاة. ورأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أنّ المأمون أشرف يوماً من قصره، فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة، وهو يكتب بها على حائط قصره، فقال المأمون لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً، وقبض عليه وتأمّل ما كتبه فإذا هو:

يا قصر جُمِّع فيك الشُّوم واللُّوم ... متى يعشش في أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحي ... يكون أوّلَ من ينعيك مرغوم

ثم إنّ الخادم قال له: أجب أمير المؤمنين، فقال له الرجل: سألتك بالله لا تذهب بي إليه، فقال الخادم: لا بد من ذلك، ثم ذهب به فلمّا مثل بين يدي المأمون أعلمه الخادم بما كتب، فقال المأمون: ويلك ما حملك على هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنّه لن يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفراش والأواني والأمتعة والجواري والخدم، وغير ذلك ممّا يقصر عنه وصفي، ويعجز عنه فهمي، وإنّي يا أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا في غاية من الجوع والفاقة، فوقفت مفكراً في أمري، وقلت في نفسي: هذا القصر عامر عال، وأنا جائع ولا فائدة لي فيه، فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوّت بثمنه، أوَما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر؟ قال: وما قال الشاعر؟ قال:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرىء ... نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنّه ... يرجى سواها، فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون: أعطه يا غلام ألف دينار، ثم قال له: هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله، وأنشدوا في معنى ذلك:

إذا كنت في أمر فكن فيه محكماً ... فعمّا قليل أنت ماض وتاركه
فكم دحت الأيام أرباب دولة ... وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

الحكم: يحرم أكل جميع أنواعها، قال الرافعي: ذكر أبو عاصم العبادي أنّ البوم حرام كالرخم، وكذلك الضوع، وعن الشافعي رحمه الله قول: إنّه حلال وهذا يقتضي أنّ الضوع غير البوم، لكن في الصحاح أنّ الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام، وقال المفضل إنّه ذكر البوم، فعلى هذا إذا كان في الضوع قول لزم إجراؤه في البوم، لأنّ الأنثى والذكر من الجنس الواحد لا يختلفان في الحل والحرمة، اهـ. وقال في «**الروضة**»: الأشهر أن الضوع من جنس الهام فنحكم بتحريمه.

فائدة: روى ابن السني عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ولد له مولود فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أمّ الصبيان**»، وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يفعله، واختلف في أمّ الصبيان، فقيل البومة كما تقدّم؛ وقيل التابعة من الجن.

الخواص: إذا ذبح البوم بقيت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى مضمومة، فالمفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم من لبسه سهر ما دام عليه، والأخرى بالعكس، قال الطبري: فإذا اشتبه عليك المنومة من المسهرة فاجعلهما في الماء، فالتي ترتفع على الماء هي المسهرة والتي ترسب هي المنومة. وقال هرمس: إذا أخذ قلب بومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة في حال نومها تكلّمت بكل ما فعلته في يومها، والاكتحال بمرارتها ينفع من ظلمة البصر، وقلب البومة الكبيرة، إذا قلع وشدّ في جلد ذئب وعلق على العضد أمن حامل ذلك من اللصوص وسائر الهوام ولم يخف أحداً من الناس، وإن اكتحل بمذاب شحمها فأي مكان دخله بالليل رآه مضيئاً، وهي تبيض بيضتين إحداهما تخلق، والأخرى لا تخلق، فإن أردت معرفة التي تخلق من التي لا تخلق فأدخل فيها ريشة، فالتي تخلق تبيّن لك تخلقها الريشة.

التعبير: البوم في المنام لص مكار؛ وقيل ملك مهيب تشق مرائر الرعية هيبته، ويدل على البطالة، وذهاب الخوف لأنّه من طيور الليل، والله أعلم.

البُوَّه: بضم الباء وتشديد الواو، طائر يشبه البوم إلاّ أنّه أصغر منه، والأنثى بوهة، ويشبه بها الرجل الأحمق، قال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحي بوهة
عليه عقيقته أحسبا

الأحسب من الناس الذي في شعره شقرة وصفه باللؤم والشحّ يقول: كأنّه لم

تحلق عقيقته في صغره حتى شاخ؛ قيل إنّه الرجل الضعيف الطائش، والبوهة ما أطارته الريح، والبوه ذكر البوم، وقيل البوه الكبير من البوم، قال رؤبة يذكر كبره:

كالبوه تحت الظلمة المرشوش

وقيل البوه: طائر يشبه البوم؛ وقيل الأحسب الذي ابيضّ جلده من داء ففسدت شعرته، فصار أحمر وأبيض، ويكون ذلك في الناس والإبل؛ وقيل الأحسب الأبرص.

وحكمه وخواصه وتعبيره: كالبوم في جميع ما تقدّم.

بوقير: قال القزويني: إنّه طائر أبيض تجيء منه طائفة كل سنة في وقت معلوم إلى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر بقرب انصنا بلدة مارية أم إبراهيم ابن النبيّ ﷺ فتتعلّق على هذا الجبل، وفيه كوة يأتي كل واحد منها، ويدخل رأسه فيها ثم يخرجه، ويلقي نفسه في النيل، ثم يخرج ويذهب من حيث جاء، ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسه فيها، فيقبض عليه شيء من تلك الكوة، فيضطرب ويبقى معلّقاً حتى يتلف، ثم يسقط بعد مدّة، فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون في الحال، فلا يرى شيء من ذلك الطير في ذلك الجبل إلى مثل ذلك الزمان من العام المقبل. قال أبو بكر الصولي: سمعت من أعيان تلك البلاد أنّه إذا كان العام مخصباً قبضت تلك الكوّة على طائرين وإن كان متوسّطاً قبضت على طائر واحد، وإن كان مجدباً لم تقبض على شيء.

البينيب: على وزن فيعيل سمك بحري معروف عند أهل البحر.

البِيَاح: بكسر الباء مخففاً ضرب من السمك، وربّما فتح وشدّد، قاله الجوهري.

أبو براقش: طائر كالعصفور يتلون ألواناً قال الشاعر:

كأبي براقش كل يو م لونه يتخيّل

يضرب به المثل في التنقل والتحوّل، وقال القزويني: إنّه طائر حسن الصوت، طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار في حجم اللقلق، يتلون في كل ساعة يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر، قال: ولم يحضرني شيء من خواصه.

أبو برا: طائر يسمّى السموأل، وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى.

أبو بَرِيص: بفتح الباء هو الوزغ الذي يسمّى سام أبرص، وسيأتي الكلام عليه في باب السين والواو في لفظ الوزغ وسام أبرص إن شاء الله تعالى.